

تاريخ ابن خلدون

المجلد الأول

ص 297-388

وتعينت مرتبته في الدولة، وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب، وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، فاحتاج إلى النظر في جمعه وتفريقه، وأضيف إليه النظر فيه. ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة، لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور. وجعل الخاتم لسجلات السلطان لحفظها من الذياع والشيعاء ودفع إليه. فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السيف والقلم، وسائر معاني الوزارة والمعاونة، حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة. ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له، لاستنكافه عن مثل ذلك. ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان، وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى. وصار الوزير إذا استبد محتاجاً إلى استنابة الخليفة إياه لذلك لتصح الأحكام الشرعية وتجيء على حالها كما تقدم. فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ، وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه، وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبداً عليه. ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة. ولم يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا ألقاب الخلافة، واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لأنهم خول لهم، فتسموا بالإمارة والسلطان. وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الأمراء أو بالسلطان، إلى ما يحليه به الخليفة من ألقابه كما تراه في ألقابهم، وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة في خاصته. ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم. وفسد اللسان خلال ذلك كله، وصارت صناعة ينتحلها بعض الناس، فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك، ولأنهم عجم، وليس تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به، وصارت خادمة للوزير. واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع إليها، وبده مع ذلك عالية

على أهل الرتب، وأمره نافذ في الكل أما نيابة أو استبداداً. واستمر الأمر على هذا. ثم جاءت دولة الترك آخرًا بمصر فأرأوا أن الوزارة قد ابتدلت بترفع أولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور، ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير، فصارت مرؤوسة ناقصة، فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة. وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد، وبقي اسم الحاجب في مدلوله، وأختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية. وأما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قسموا خطته أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً: فجعلوا لحسابان المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم، وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له. وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب، ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم، فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب، حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره. ثم جاءت دولة الشيعة بإفريقية والقيروان وكان للقائمين بها رسوخ في البداوة فأغفلوا أمر هذه الخطط أولاً وتنقيح أسمائها حتى أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسمائها كما تراه في أخبار دولتهم. ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولاً للبداوة ، ثم صارت إلى انتحال الأسماء والألقاب. وكان اسم الوزير في مدلوله. ثم اتبعوا دولة الأمويين وقلدوها في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم والآداب التي تلزم في الكون بين يديه، ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاءوا ولم يزل الشأن ذلك إلى هذا العهد. وأما في دولة الترك بالمشرق فيصفون هذا الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الدويدار

ويضيفون إليه استتباع كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالحاضرة. وحالهم على ذلك لهذا العهد. والله مولي الأمور لمن يشاء.

الحجابه:

قد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته. وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤوسة لها، إذ الوزير متصرف فيها بما يراه. وهكذا كانت، سائر أيام بني العباس، وإلى هذا العهد، فهي بمصر مرؤوسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب. وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابه لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء، فمن دونهم. فكانت في دولتهم رفيعة غاية كما تراه في أخبارهم، كابن حديد وغيره من حجابهم. ثم لما جاء الاستبداد على الدولة أختص المستبد باسم الحجابه لشرفها. فكان المنصور بن أبي عامر وأبناؤه كذلك. ولما بدعوا في مظاهر الملك وأطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها، وكانوا يعدونها شرفاً لهم، وكان أعظمهم ملكاً بعد انتحال ألقاب الملك وأسمائه لايد له من ذكر الحاجب وذي الوزارتين يعنون به السيف والقلم، ويدلون بالحجابه على حجابه السلطان عن العامة والخاصة، وبذي الوزارتين على جمعه لخطتي السيف والقلم. ثم لم يكن في دول المغرب وإفريقية ذكر لهذا الاسم للبدأوة التي كانت فيهم. وربما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل. ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتمييز الخطط وتعيينها بالأسماء إلا آخراً. فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير، فكانوا أولاً يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره، كابن عطية وعبد السلام الكومي. وكان له مع ذلك النظر في الحساب والأشغال المالية. ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لأهل نسب

الدولة من الموحيدين كابين جامع وغيره. ولم يكن اسم الحاجب معروفاً في دولتهم يومئذ. وأما بنو أبي حفص بإفريقية فكانت الرياسة في دولتهم أولاً والتقديم لوزير الرأي والمشورة. وكان يخص باسم شيخ الموحيدين. وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب، وأختص الحسيان والديوان برتبة أخرى، ويسمى متوليها بصاحب الأشغال، ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج، ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط، وكان من شرطه أن يكون من الموحيدين. وأختص عندهم القلم أيضاً بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الإسرار، لأن الكتابة لم تكن من متحل القوم ولا الترسيل بلسانهم، فلم يشترط فيه النسب. واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين بداره إلى قهرمان خاص بداره في أحواله يجربها على قدرها وترتيبها، من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والإسطبلات وغيرها، وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الجباية، فخصوه باسم الحاجب. وربما أضافوا إليه كتابة العلامة على السجلات إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة، وربما جعلوه لغيره. واستمر الأمر علي ذلك، وحجب السلطان نفسه عن الناس، فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب كلهم. ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب، ثم الرأي والمشورة، فصارت الخطة أرفع الرتب وأوعبها للخطط. ثم جاء الاستياد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم. ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الحجر والاستياد بإذهاب خطة الجباية التي كانت سلماً إليه، وبأشر أموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد. والأمر على ذلك لهذا العهد.

وأما دولة زناتة بالمغرب: وأعظمها دولة بني مريين، فلا أثر لاسم الحاجب عندهم. وأما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير. ورتبة القلم في الحسيان والرسائل راجعة إلى من يحسنها من أهلها، وإن أختصت ببعض البيوت المصطنعين في

دولتهم. وقد تجمع عندهم وقد تفرق. وأما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم، يسمى صاحبها بالمزوار ومعناه المقدم على الجنادة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونهم، والعريف عليهم في ذلك. فالباب له، وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، فكأنها وزارة صغرى. وأما دولة بني عبد الوادّ: فلا أثر عندهم لشيء من هذه الألقاب ولا تمييز الخطط لبدأ دولة وقصورها. وإنما يخصون باسم الحاجب في بعض الأحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره، كما كان في دولة بني أبي حفص، وقد يجمعون له الحسين والسجلات كما كان فيها، حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ أول أمرهم.

وأما أهل الأندلس لهذا العهد فالمخصوص عندهم بالحسين وتنفيذ خاص السلطان وسائر الأمور المالية يسمونه بالوكيل، وأما الوزير فكالوزير، إلا أنه قد جمع له الترسيل. والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها، فليس هناك خطة العلامة كما لغيرهم من الدول. وأما دولة الترك بمصر: فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك، ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة، وهم متعددون. وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العامة على الإطلاق. وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحيان، ويقطع القليل من الأرزاق، ويثبتها وتنفيذ أوامره كما تنفذ المراسم السلطانية. وكان له النيابة المطلقة عن السلطان. وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم، وإجبار من أبى الانقياد للحكم، وطورهم تحت طور النيابة. والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية ثم في تصريفها في الإنفاقات السلطانية أو الجرايات المقدره، وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه

الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم. ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحساب والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة. وقد يوليها السلطان بعض الأحيان لأهل الشوكة من رجالات الترك أو أبنائهم على حسب الداعية لذلك. والله مقدر الأمور ومصرفها بحكمته، لا إله إلا هو رب الأولين والآخرين.

ديوان الأعمال والجبايات:

إعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها ، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يريتها قومه تلك الأعمال، وقهارة الدولة، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب، لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال، وشففي ذلك الكتاب بالديوان، وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها. ويقال: أن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يوماً إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحدثون فقال: (ديوانه) أي (مجانين) بلغة الفرس، فسمي موضعهم بذلك، وحذفت الهاء لكثرة الإستعمال تخفيفاً فقل ديوان، ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحسابات، وقيل : أنه اسم للشياطين بالفارسية، سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الأمور ووقوفهم على الجلي والخفي منها، وجمعهم لما شد وتفرق. ثم نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الأعمال. وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد. وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر وأحد ينظر في سائر هذه الأعمال، وقد يفرد كل صنف منها بناظر، كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر وإقطاعاتها وحسبان أعطياتهم ، أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما

قرره أولوها. واعلم أن هذه الوظيفة إنما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التمهيدي. وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية عمر رضي الله عنه يقال لسبب مال أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه، فسموا إلى إحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق، فأشار خالد بن الوليد بالديوان، وقال: رأيت ملوك الشام يدونون، فقبل منه عمر. وقيل: بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان، فقيل له: ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم، فإن من تخفف أخل بمكانه، وإنما يضبط ذلك الكتاب، فاثبت لهم ديواناً. وسأل، عمر عن اسم الديوان، فعبر له. ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من كتاب قريش، فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الأنساب مبتدأ من قرابة رسول الله ﷺ وما بعدها، الأقرب فالأقرب. هكذا كان ابتداء ديوان الجيش. وروى الزهري عن سعيد بن المسيب أن ذلك كان في المحرم سنة عشرين. وأما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل: ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية. وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين. ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكاً، وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة، ومن سذاجة الأمية إلى حدق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحساب، فأمر عبد الملك سليمان بن سعيد والي الأردن لعهد أن ينقل ديوان الشام إلى العربية، فأكملة لسنة من يوم ابتدائه، ووقف عليه سرجون كاتب عبد الملك، فقال لكتاب الروم: اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد أقطعها الله عنكم. وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن، وكان يكتب بالعربية والفارسية، ولقن ذلك عن زادن فروخ كاتب الحجاج قبله، ولما قتل زادن في حرب عبد الرحمن بن الأشعث استخلف الحجاج صالحاً هذا مكانه، وأمر أن ينقل الديوان من الفارسية

إلى العربية ففعل، ورغم لذلك كتاب الفرس. وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح، ما أعظم مئته على الكتاب. ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة إلى من كان له النظر فيه، كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة. وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الأحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتمييز النواحي بالصلح والعنوة، وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون، وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات، فأمر راجع إلى كتب الأحكام السلطانية، وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا، وإنما تتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه. وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك، بل هي ثلاثة أركانه، لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال، فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك. وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالأندلس والطوائف بعدهم. وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها. وكان يعرف بصاحب الأشغال، وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها. ولما استبد بنو أبي حفص بإفريقية وكان شأن الجالية من الأندلس، فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الأندلس، مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني أبي الحسن، فاستكفوا بهم في ذلك، وجعلوا لهم النظر في الأشغال، كما كان لهم بالأندلس، ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين. ثم استقل بها أهل الحسيان والكتاب وخرجت عن الموحدين. ثم لما استغلظ أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم، وصار صاحبه مرؤوساً للحاجب، وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة. وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسيان

العطاء والخراج مجموع لواحد، وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها، ويرجع إلى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان أو الوزير، وخطه معتبر في صحة الحساب في الخراج والعطاء. هذه أصول الرتب والخطط السلطانية، وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان. وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمتنوعة. وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير، وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدولة، وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال، لأن النظر في الأموال عندهم يتنوع إلى رتب كثيرة لانفساح دولتهم، وعظمة سلطانهم، واتساع الأموال والجبايات عن أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال، ولو بلغ في الكفاية مبالغه، فتعين للنظر العائم منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالي السلطان وأهل عصيته وأرباب السيوف في الدولة، يرجع نظر الوزير إلى نظره، ويجتهد جهده في متابعتة، ويسمى عندهم أستاذ الدولة، وهو أحد الأمراء الأكابر في الدولة من الجند وأرباب السيوف. ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال والحسبان، مقصورة النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص، وهو المباشر لأموال السلطان الخاصة به من إقطاعه أو سهمانه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من أموال المسلمين العامة. وهو تحت يد الأمير أستاذ الدار. وإن كان الوزير من الجند فلا يكون أستاذ الدار نظر عليه. وناظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من مماليكه المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفتهما بمال السلطان الخاص. وهذا بيان هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعدما قدمناه من أمرها بالمغرب. والله مصرف الأمور لا رب غيره.

ديوان الرسائل والكتابة:

هذه الوظيفة غير ضرورية بما في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما

في الدول العريقة في البداوة، التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع. وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد. فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر. وكان الكاتب لأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله ، كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق، لعظم أمانتهم وخلوص أشرارهم. فلما فسد اللسان وصار صناعة أختص بمن يحسنه.. وكانت عند بني العباس رقيقة. وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقه، ويكتب في آخرها اسمه، ويختم عليها بخاتم السلطان، وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارته، يغمس في طيني احمر مذاق بالماء، ويسمى طين الختم، ويطبع به على طرفي السجل عند طيه، وإصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان، ويضع الكاتب فيها علامته أولاً أو آخراً على حب الاختيار في محلها وفي لفظها. ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبه من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه، فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة بالحكم بعلامة الرئيس عليه، يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة، والحكم لعلامة ذلك الرئيس. كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة ، وصار أمرها إلى التفويض ثم الاستبداد، صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة، اتباعاً لما سلف من أمرها. فصار الحاجب يرسم للكاتب إمضاء كتابه، ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صيغ الإنفاذ ما شاء، فيأتمر الكاتب له، ويضع العلامة المعتادة. وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك إذا كان مستبداً بأمره قائماً على نفسه، فيرسم الأمر للكاتب ليضع علامته. ومن خطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه: فإما أن تصدر كذلك، وإما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة. ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها

توقيعه، وقد كان جعفر بن يحيى يوقع القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل: أنها كانت تباع كل قصة منها بدينار. وهكذا كان شأن الدول واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشفة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم، من أمثال ذلك مع ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل، مع ما يضطر إليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها، وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة إلى أرباب السيوف، لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لأجل سذاجة العصية فيختص السلطان أهل عصيته بخطط دولته وسائر رتبته، فيقلد المال والسيف والكتابة منهم. فأما رتبة السيوف فتستغني عن معاناة العلم، وأما المال والكتابة فيضطر إلى ذلك للبلاغ في هذه والحسبان في أخرى، فيختارون لها من هذه الطبقة ما دعت إليه الضرورة ويقلدونه، إلا أنه لا تكون يد أخرى من أهل العصية غالبية على يده، ويكون نظره متصرفاً عن نظره. كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق، فإن الكتابة عندهم وأن كانت لصاحب الإنشاء إلا أنه تحت يد أمير من أهل عصية السلطان يعرف بالدویدار، وتعويل السلطان ووثوقه به واستنائه في غالب أحواله إليه، وتعويله على الآخر في أحوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكنمان الإسرار وغير ذلك من توابعها. وأما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة، وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب، وهي:

رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب:

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم. فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة

سواء، وصرفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات، إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات، والعلم والرزانة. بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها. وبنصحاتكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم. فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون. فأمتعكم الله بما خضكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم ما أصفاه من النعمة عليكم. وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمود، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم. أيها الكتاب. إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أمره أن يكون حليماً في موضع الحلم، فهيماً في موضع الحكم، مقداماً في موضع الإقدام، محجماً في موضع الإحجام، مؤثراً للعفاف والعدل والإنصاف، كتوماً للأسرار، وفيماً عند الشدائد، عالماً بما يأتي من النوازل، يضع الأمور مواضعها، والطوارق في أماكنها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه، وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به، يعرف بغريزة عقله، وحسن أدبه وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل أمر عدته وعتاده، وبهيئ لكل وجه هيئته وعادته. فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين. وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه جلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج. وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودينها، وسفساف الأمور ومحاقرها، فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتاب. ونزهوا صناعتكم عن الدناءة، واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما

فيه أهل الجهالات. وإياكم والكبر والسخف والعظمة، فأنها عداوة مجتلية من غير إحنة. وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبيل من سلفكم. وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه، وواسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره. وأن أقعد أحداً منكم الكبير عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضله تجربته وقديم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه. فأن عرضت في الشغل محمداً فلا يصرفها إلا إلى صاحبه، وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه. وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال. فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء، وهو لكم أفسد منه لهم. فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبدل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه، فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتديير أمره ما هو جزاء لحقه، ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه، والاضطرار إلى ما لديه، فاستشعروا ذلك. وفقكم الله من أنفسكم. في حالة الرخاء والشدّة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسراء والضراء. فتعمت الشيمة هذه، من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة. وإذا ولي الرجل منكم أو ضير إليه من أمر خلق الله وعباله أمر فليراقب الله عز وجل، وليؤثر طاعته وليكن الضعيف رقيقاً وللمظلوم منصفاً، فإن الخلق عيال الله، وأجيبهم إليه أرفقهم بعباله. ثم ليكن بالعدل حاكماً، وللأشراف مكرماً، وللفيء موفراً، وللبلاد عامراً، وللرعية متألماً، وعن أذاهم متخلفاً، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً، وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رقيقاً. وإذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة وأجمل وسيلة. وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها: فإن كانت رموحاً لم يهجهها إذا ركبها، وإن كانت شيبوباً اتقاها من ين يديها، وإن خاف

منها شرودا توقاها من ناحية رأسها، وأن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها، فأن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها. وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجريهم وداخلهم. والكاتب، لفضل أدبه وشريف صنعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس وينظره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق لصاحبه، ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمه التي لا تحير جواباً، ولا تعرف صواباً، ولا تفهم خطاباً، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها. إلا فارقوا رحمكم الله في النظر، واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة والإستقلال والجفوة، وبصير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى الموأخاة والشفقة أن شاء الله. ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه، فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير، حفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير. واستعينوا على عفافكم بالقصد، في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم. واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف، فأنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب. ويفضحان أهلها ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب. وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم. ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة، وأصدقها حجة، واحمدها عاقبة. وأعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنقاذ علمه ورويته. فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وليوجز في ابتدائه وجوابه، وليأخذ بمجامع حججه، فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن إكثاره. وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر بدينه وعقله وآدابه. فإنه أن ظن منكم ظان أو قال قائل أن الذي برز من جميل صنعه، وقوة حركته إنما هو

بفضل حيلته وحسن تدييره، فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف. ولا يقول أحد منكم أنه ابصر بالأمور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته، فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره، ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجمل في طريقته. وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه، ولا يكائر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته. وحمد الله واجب على الجميع، وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته. وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل: "من تلزمه النصيحة يلزمه العمل". وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل. فلذلك جعلته آخره وتممته به. تولانا الله وأياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده، فإن ذلك إليه ويده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشرطة:

ويسمى صاحبها لهذا العهد بإفريقية الحاكم، وفي دولة أهل الأندلس صاحب المدينة، وفي دولة الترك الوالي. وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان. وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها أولاً ثم الحدود بعد استيفائها. فأن التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلا في استيفاء حدودها، وللسياسة النظر في استيفاء موجباتها بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن لما توجه المصلحة العامة في ذلك. فكان الذي يقوم بهذا الإستبداد وباستيفاء الحدود بعده إذا تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة، وربما جعلوا إليه النظر في الحدود والدماء بإطلاق، وأفردوها من نظر القاضي. ونزهوا هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليهم. ولم تكن عامة التنفيذ في

طبقات الناس، إنما كان حكمهم على الدهماء وأهل الرب، والضرب على أيدي الرعاع والفجرة. ثم عظمت نهايتها في دولة بني أمية بالأندلس، ونوعت إلى شرطة كبرى وشرطة صغرى. وجيل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء. وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلمات، وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه. وجعل صاحب الصغرى مخصوصاً بالعامه. ونصب لصاحب الكبرى كرسي بباب دار السلطان ورجال يتبؤون المقاعد بين يديه، فلا يبرحون عنها إلا في تصريفه. وكانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة حتى كانت ترشياً للوزارة والحجابه.

وأما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وإن لم يجعلوها عامه. وكان لا يليها إلا رجالات الموحدين وكبرائهم. ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية. ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين. وأما في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولايتها في بيوت من مواليهم وأهل اصطناعهم، وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك أو أعقاب أهل الدولة قبلهم من الأكراد، يتخيرونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابه والمضاء في الأحكام لقطع مواد الفساد وحسم أبواب الدعارة، وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعه، مع إقامة الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة. والله مقلب الليل والنهار، وهو العزيز الجبار، والله تعالى اعلم.

قيادة الأساطيل:

وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وإفريقية، ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال. ويسمى توجيهه في عرفهم البلند بتفخيم اللام منقولاً من لغة الإفرنجة فإنه اسمها في اصطلاح لغتهم. وإنما أختصت هذه المرتبة بملك إفريقية والمغرب لأنها جميعاً على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب، وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم

من سبتة إلى الإسكندرية إلى الشام، وعلى عدوته الشمالية بلاد الأندلس والإفرنجة والصقالبة والروم إلى بلاد الشام أيضاً ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة إلى أهل عدوته. والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار. فقد كانت الروم والإفرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي، وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن، فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله. ولما أسف من أسف منهم إلى ملك العدو الجنوبية، مثل الروم إلى إفريقية والقوط إلى المغرب، أجازوا في الأساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها، وانتزعوا من أيديهم أمرها، وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيبلة وجولاء ومرناق وشرشال وطنجة. وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة. ويبعث الأساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد، فكانت هذه عادة لأهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة في القديم والحديث. ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أن صف لي البحر، فكتب إليه: "أن البحر خلق عظيم، يركبه خلق ضعيف، دود على عود". فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه. ولم يركبه أحد من العرب إلا من افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه، كما فعل بعرفجة بن هرثمة الأزدي سيد بجيلة لما أغزاه عمان، فبلغه غزوه في البحر، فأنكر عليه وعنفه أنه ركب البحر للغزو. ولم يزل الشأن ذلك حتى إذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على أعواده. والسبب في ذلك أن العرب كانوا لبدأوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته. فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولاً لهم وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر

وثقافته، استحدثوا بصراء بها، فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشئوا السفن فيه والشواني، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، وأختصوا بذلك من ممالكهم وثورهم ما كان أقرب لهذا البحر، وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس. وأوعز الخليفة عبد الملك إلى حسان بن النعمان عامل إفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصاً على مراسم الجهاد. ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا، وفتح قوصرة أيضاً في أيامه بعد أن كان معاوية بن حديج اغزي صقلية أيام معاوية بن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه، وفتحت على يد ابن الأغلب وقائده اسد بن الفرات. وكانت من بعد ذلك أساطيل إفريقية والأندلس في دولة العبيديين والأمويين تتعاقب إلى بلادهما في سبيل الفتنة، فتجوس خلال السواحل بالإفساد والتخريب. انتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها، وأسطول إفريقية كذلك مثله أو قريباً منه. وكان قائد الأساطيل بالأندلس ابن دماحس، ومرفأها للحط وإلا قلاع بجاية والمرية. وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك، من كل بلد يتخذ فيه السفن أسطول، يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته، ورئيس يدبر أمر جريته بالريح أو بالمجاديف وأمر إرسائه في مرفئه. فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتفل أو غرضٍ سلطاني مهم عسكرت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأنجاد عساكره ومواليه، وجعلهم لنظر أميرٍ واحدٍ من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كفههم إليه، ثم يسرحهم لوجههم وينتظر أيابهم بالفتح والغنيمة. وكان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم، وملكوا سائر

الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه، مثل ميورقة ومنورقة وبابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة وأقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والإفرنج. وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون أساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة فتتقلب بالظفر والغنيمّة. وافتتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في أساطيله سنة خمس وأربعمائة، وارتجعها النصارى لوقيتها. والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر، وسارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة، والعساكر الإسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدوّة الشماليّة، فتوقع بملوك الإفرنج وتخن في ممالكهم، كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيديين، انحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه، من سواحل الإفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها. وأساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً، فلم تسيح للنصرانية فيه ألواح حتى إذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن، وطرقها الاعتلال مد النصارى أيديهم إلى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية وإقريطش ومالطة، فملكوها. ثم ألحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا، واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام، وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة لإظهار دينهم وعبادتهم، وغلبوا بني خزرون على طرابلس، ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية، ثم ملكوا المهديّة مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن زبري، وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر. وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن أنقطع، ولم يعتنوا بشيء من أمره لهذا العهد، بعد أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم. فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك، وبقيت بأفريقية والمغرب فصارت مختصة بها. وكان الجانب الغربي من هذا

البحر لهذا العهد موفور الأساطيل ثابت القوة، لم يتحيفه عدو، ولا كانت لهم به كرة. فكان قائد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس، ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم، انتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من بلاد العدوتين جميعاً. ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد. وكان قائد أسطولهم أحمد الصقلي، أصله من صد غيار الموطنين بجزيرة جربة من سرويكش، أسرة النصارى من سواحلها وربي عندهم، واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه، ثم هلك وولي ابنه فأسخطه ببعض النزعات، وخشي على نفسه ولحق بتونس، ونزل على السيد بها من بني عبد المؤمن، وأجاز إلى مراکش، فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرة والكرامة، وأجزل الصلة وقلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية، وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين. وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والإستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه. ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهدده باسترجاع ثغور الشام من يد أمم النصرانية، وتطهير بيت المقدس، تتابعت أساطيلهم بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه، فأمدوهم بالعدد والأقوات، ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر، وتعدد أساطيلهم فيه، وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل. فأوفد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهدده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك شيزر، وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته، فبعث عبد الكريم منهم هذا إلى ملك المغرب طالباً مدد الأساطيل لتجول في البحر بين أساطيل الأجانب وبين مرامهم من إمداد النصرانية بثغور الشام، واصحبه كتابه إليه في ذلك، من إنشاء الفاضل البيساني يقول في افتتاحه:

"فتح الله لسيدنا أبواب المناجح والميامن" حسبما نقله العماد الأصفهاني في كتاب الفتح القيسيّ فنقم عليهم المنصور تجافيهم عن خطابه بأمر المؤمنين وأسرها في نفسه، وحملهم على مناهج البر والكرامة، وردهم إلى مرسلهم ، ولم يجبه إلى حاجته من ذلك. وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالأساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده بشأن الأساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة. ولما هلك أبو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحّدين واستولت أمم الجلالة على الأكثر من بلاد الأندلس، وألجأوا المسلمين إلى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي، قويت ريحهم في بسيط هذا البحر، واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم، وتراجعت قوة المسلمين فيه إلى المساواة معهم، كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زناتة بالمغرب، فإن أساطيله كانت عند مرامه الجهاد مثل عدة النصرانية وعددهم. ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر، بكثرة العوائد اليدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الأندلسية. ورجع النصراني فيه إلى دينهم المعروف من الدرية فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الأمم في لجته وعلى أعواده. وصار المسلمون فيه كالأجانب إلا قليلاً من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الأمصار والأعوان، أو قوة من الدولة تستجيش لهم أعواناً وتوضح لهم في هذا الغرض مسلماً. وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة، والرسم في معاناة الأساطيل بالإنشاء والركوب معهوداً، لما عساه أن تدعو إليه الحاجة من الأغراض السلطانية في البلاد البحرية. والمسلمون يستهبون الريح على الكفر وأهله. فمن المشتتهر بين أهل المغرب عن كتب الحدّثان أنه لا بد للمسلمين من الكرة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الإفرنجية، وأن ذلك يكون في الأساطيل. والله ولي المؤمنين، وهو حسينا ونعم الوكيل.

الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إعلم أن السيفَ والقلمَ كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره. إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم، لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني، والسيف شريك في المعونة. وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه، ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه، فتنحاج الدولة إلى الأستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم في حماية الدولة، والمدافعة عنها، كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها. فيكون للسيف مزية على القلم في الحالتين. ويكون أربابُ السيف حينئذٍ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً. وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره، ولم يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام، والقلم هو المعين له في ذلك، فتعظم الحاجة إلى تصريفه، وتكون السيوف مهملة في مضاجع أعمادها، إلا إذا أنابت نائبة أو دعيت إلى سد فرجة، وما سوى ذلك فلا حاجة إليها. فيكون أرباب الأقالام في هذه الحاجة أوسع جاهاً، وأعلى رتبة، وأعظم نعمة وثروة، وأقرب من السلطان مجلساً، وأكثر إليه تردداً وفي خلواته نجياً، لأنه حينئذٍ آتته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه، والنظر في أعطافه، وثقيف أطرافه، المباهاة بأحواله، ويكون الوزراء حينئذٍ وأهل السيوف مستغنى عنهم، مبعدين عن باطن السلطان، حذرين على أنفسهم من بوادره. وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم للمنصور حين أمره بالقدوم: "أما بعد فأنت مما حفظناه من وصايا الفرس، أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء". سنة الله في عباده، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

إعلم أن للسلطان شارات وأحوالاً تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته. فلنذكر ما هو مشتهر منها بمبلغ المعرفة، {فوق كل ذي علم عليم}. [سورة... الآية...]

الآلة: فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق والقرون. وقد ذكر أرسطو في الكتاب المنسوب إليه في السياسة، أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب، فإن الأصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة. ولعمري إنه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه. وهذا السبب الذي ذكره أرسطو - إن كان ذكره - فهو صحيح ببعض الاعتبارات. وأما الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب، ويستमित في ذلك الوجه الذي هو فيه. وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم، بانفعال الإبل بالحداء، والخيل بالصفير والصريخ كما علمت. ويزيد ذلك تأثيراً إذا كانت الأصوات متناسبة كما في الغناء. وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى. ولأجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية لا طبلاً ولا بوقاً، فيحدث المغنون بالسلطان في موكبه بآلاتهم، ويغنون، فيحركون نفوس الشجعان بضربهم إلى الاستماتة. ولقد رأينا في حروب العرب من يتغنى أمام الموكب بالشعر ويطرب، فتجيش هم الأبطال بما فيها، ويسارعون إلى مجال الحرب، وينبعث كل قرنٍ إلى قرنه. وكذلك زناتهُ من أمم المغرب. يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف، ويتغنى فيحركُ بغنائه الجبال الرواسي، وبعثُ على

الإستماتة منْ لا يظن بها، ويسمون ذلك الغناء تاصو كايث. وأصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح. والله أعلم. وأما تكثير الرايات وتلوينها وإطالتها فالقصد به التهويل لا أكثر، وربما يحدث في النفوس من التهويل زيادة في الإقدام، وأحوال النفوس وتلويناتها غريبة. والله الخلاق العليم. ثم أن الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات، فمنهم مكثر ومنهم مقلل بحسب اتساع الدولة وعظمتها. فأما الرايات فأنها شعار الحروب من عهد الخليقة، ولم تزل

الأمم تعقدتها في مواطن الحروب والغزوات، لعهد النبي ﷺ .

السريير: وأما السريير والمنبر والتخت والكرسي فهي أعواد منصوبة أو أرائك منصدة لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن أهل مجلسه أن يساويهم في الصعيد. ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الإسلام، وفي دول العجم. وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب. وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسريير من عاج، مغشى بالذهب. إلا أنه لا تأخذ به الدول إلا بعد الاستفحال والترف شأن الأبهة كلها كما قلناه. وأما في أول الدولة عند البداوة فلا يتشوفون إليه. وأول من اتخذ في الإسلام معاوية واستأذن الناس فيه، وقال لهم: أني قد بدنت فأذنوا له، فاتخذه واتبعه الملوك الإسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة. ولقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الأرض مع العرب، ويأتيه المقوقس إلى قصره ومعه سريير من الذهب محمولاً على الأيدي لجلوسه شأن الملوك، فيجلس عليه وهو أمامه، ولا يغيرون عليه وفاءً له بما عقد معهم من الذمة واطراحاً لأبهة الملك. ثم كان بعد ذلك ليني العباس والعبديين وسائر ملوك الإسلام شرقاً وغرباً من الأسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الأكاسرة والقيصرة. والله مقلب الليل والنهار.

السكة: وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عدداً، وأن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً. ولفظ السكة كان اسماً للطابع، وهي الحديد المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك، والنظر في استيفاء حاجته وشروطه، وهي الوظيفة، فصار علماً

عليها في عرف الدول. وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة. وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها، مثل تمثال السلطان لعهدا أو تمثيل حصن أو حيوانٍ أو مصنوعٍ أو غير ذلك، ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم. ولما جاء الإسلام أغفل ذلك لسذاجة الدين وبداعة العرب. وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً، وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم يردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون بها بينهم، إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم، لغفلة الدولة عن ذلك، وأمر عبد الملك الحجاج، على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد، بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص، وذلك سنة أربع وسبعين، وقال المدائني سنة خمس وسبعين، ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين، وكتب عليها: "الله أحد الله الصمد". ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك، فجود السكة، ثم بالغ خالد القسري في تجويدها، ثم يوسف بن عمر بعده. وقيل: أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز، وكتب عليها في أحد الوجهين: "بركة الله" وفي الآخر "اسم الله"، ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة، وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر. وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دوانق، والمثقال وزنه درهم وثلاثة أرباع درهم، فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل. وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطاً، ومنها اثنا عشر، ومنها عشرة، فلما احتيج إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطاً، فكان المثقال درهماً وثلاثة أسباع درهم. وقيل كان منها البغلي بثمانية دوانق، والطبري أربعة دوانق، والمغربي ثمانية دوانق، واليمني ستة دوانق، فأمر عمر أن ينظر الأغلب في

التعامل، فكان البغلي والطبري وهما اثني عشر دانقاً. وكان الدرهم ستة دوانق، وإن زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالاً، وإذا أنقصت ثلاثة أعشار المثقال كان درهماً. فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين في معاملة المسلمين من الغش عين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه، واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صوراً، لأن العرب كان الكلام والبلاغة أقرب مناحيهم وأظهرها، مع أن الشرع ينهى عن الصور. فلما فعل ذلك استمر بين الناس في أيام الملة كلها. وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين، والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهنيلاً وتحميداً، وصلاة على النبي وآله، وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة. وهكذا أيام العباسيين والعباسيين والأمويين. وأما صنهجة فلم يتخذوا سكة إلا آخر الأمر، اتخذها منصور صاحب بجاية، ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه. ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه، ويملاً من أحد الجانبين تهنيلاً وتحميداً، ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون، وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد. ولقد كان المهدي، فيما ينقل، ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله، المخبرون في ملاحمهم عن دولته. وأما أهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدر، وإنما يتعاملون بالدنانير والدراهم وزناً بالصنجات المقدره بعدة منها، ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان كما يفعله أهل المغرب. {ذلك تقدير العزيز العليم}. [سورة... الآية...]

ولنختم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما.

مقدار الدرهم والدينار الشرعيين:

وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق

والأمصار وسائر الأعمال. والشرع قد تعرض لذكرهما وعلق كثيراً من الأحكام بهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها. فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهما أحكامه دون غير الشرعي منهما. فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعين درهماً، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار، ووزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبةً من الشعير. فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره خمسون حبةً وخمسا حبةً. وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع. فأن الدرهم الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبري، وهو أربعة دوانق، والبغلي وهو ثمانية دوانق، فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دوانق. فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائتي طبرية خمسة دراهم وسطاً. وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك، وإجماع الناس بعد عليه كما ذكرناه، ذكر ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردي في الأحكام السلطانية، وأنكره المحققون من المتأخرين، لما يلزم عليه أن يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم، مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه. والحق أنهما كانا معلومي المقدار في ذلك العصر لجريان الأحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق. وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج، وإنما كان متعارفاً بينهم بالحكم الشرعي على المقدر في مقدارهما وزنتهما. حتى استفحل الإسلام وعظمت الدولة، ودعت الحال إلى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير. وقارن ذلك أيام عبد الملك فمشخص مقدارهما وعينهما في الخارج، كما هو في الذهب، ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه أثر الشهادتين الإيمانيتين، وطرح النقود الجاهلية رأساً حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشى وجودها. فهذا هو

الحق الذي لا محيد عنه. ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم، واختلفت في كل الأقطار والآفاق، ورجع الناس إلى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنياً كما كان في الصدر الأول، وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم، بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية. وأما وزن الدينار باثنين وسبعين حبةً من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الإجماع إلا ابن حزم خالف ذلك، وزعم أن وزنه أربعة وثمانون حبةً، نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق، ورده المحققون، وعدوه وهماً وغلطاً وهو الصحيح. (والله يحق الحق بكلماته)

وكذلك تعلم أن الأوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس، لأن المتعارفة مختلفة باختلاف الأقطار، والشرعية متحدة ذهنياً لا اختلاف فيها. (والله خلق كل شي فقدره تقديراً).

الخاتم:

وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية. والختم علي الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الإسلام وبعده. وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى قيصر، فقبل له: أن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه: "محمد رسول الله".

قال البخاري: "جعل ثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به، وقال لا ينقش أحد مثله"، قال: "وتختم به أبو بكر وعمر وعثمان، ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس، وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد، واغتم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله". وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه. وذلك أن الخاتم يطلق على الآلة التي

تجعل في الإصبع، ومنه تختم إذا لبسه. ويطلق على النهاية والتمام، ومنه ختمت الأمر إذا بلغت آخره، وختمت القرآن كذلك، ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمر. ويطلق على السداد الذي يسد به الأواني والدنان، ويقال فيه ختام، ومنه قوله تعالى: {خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين: 26]. وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام، قال لأن آخر ما يجدونه فم شرابهم ريح المسك، وليس المعنى عليه، وإنما هو من الختام، الذي هو السداد، لأن الخمر

يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها وبطيّب عرفها وذوقها، فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك، وهو أطيب عرفاً وذوقاً من القار والطين المعهودين في الدنيا. فإذا صح إطلاق الخاتم على هذه كلها صح إطلاقه على أثرها الناشئ عنها. وذلك أن الخاتم إذا نقشت به كلمات أو أشكال ثم غمس في مذاق من الطين أو مداد، ووضع على صفح القرطاس بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفح. وكذلك إذا طبع به على جسم لين كالشمع، فإنه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسماً فيه. وإذا كانت كلمات وارتسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى إذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى، وقد يقرأ من الجهة اليمنى إذا كان النقش من الجهة اليسرى، لأن الختم يقلب جهة الخط في الصفح كما كان في النقش من يمين أو يسار. فيحتمل أن يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد أو الطين، ووضعه على الصفح فتنتقش الكلمات فيه، ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه، كان الكتاب إنما يتم العمل به بهذه العلامات، وهو من دونها ملغى ليس بتمام. وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات منتظمة من تحميد أو تسييح، أو باسم السلطان أو الأمير أو صاحب الكتاب كائناً من كان، أو شيء من نعوته، يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه، وسمي ذلك في المتعارف علامة، وسمي ختماً تشبيهاً له بأثر الخاتم الأصفي في النقش، ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم، أي علامته وخطه الذي ينفذ بهما أحكامه، ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أي علامته. قال الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرأً ويستبدل به من الفضل أخيه، فقال لأبيهما يحيى: "يا أبت إنني أردت أن أحول الخاتم من يميني إلى شمالي". فكنى له بالخاتم عن الوزارة، لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم. ويشهد لصحة هذا الإطلاق ما نقله الطبري أن معاوية أرسل إلى

الحسن عند مرادوته إياه في الصلح صحيفة بيضاء ختم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك. ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخطه أو غيره. ويحتمل أن يختم به في جسم لين فتنقش فيه حروفه، ويجعل على موضع الحزم من الكتاب إذا حزم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر. وهو في الوجهين آثار الخاتم، فيطلق عليه خاتم. وأول من أطلق الختم على الكتاب، أي العلامة معاوية، لأنه أمر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف، ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه، فأنكرها معاوية، وطلب بها عمر وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله. واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري. وقال آخرون: وحزم الكتب ولم تكن تحزم أي جعل لها السداد. وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائمين على إنفاذ كتب السلطان والختم عليها أما بالعلامة أو بالحزم. وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الأعمال. والحزم للكتب يكون أما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب، وأما بلسق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف أهل المشرق. وقد يجعل على مكان الدس أو الإصاق علامة يؤمن معها من فتحه والإطلاع على ما فيه. فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك، فيرتسم النقش في الشمع. وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضاً قد غمس في مذاق من الطين معد لذلك، صبغه احمر فيرتسم ذلك النقش عليه. وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم، وكان يجلب من سبراف، فيظهر أنه مخصوص بها. فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة أو النقش للسداد، والحزم للكتب خاص بديوان الرسائل. وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية. ثم اختلف العرف وصار لمن إليه الترسيل وديوان الكتاب في الدولة. ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للإصبع، فيستجيدون صوغه من الذهب

وبرصونه بالفصوص من الياقوت والفيروز والزمرد، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية. والله مصرف الأمور بحكمه.

الطراز:

من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم، من الحرير أو الديباج أو الإبريسم، تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب ألحاماً وإسداء بخيط الذهب، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب، على ما يحكمه الصانع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسها من السلطان فمن دونه، أو التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته. وكان ملوك العجم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم، أو أشكال وصور معينة لذلك. ثم اعتاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتب أسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل أو السجلات. وكان ذلك في الدولتين من أبهة الأمور وأفخم الأحوال. وكانت الدور المعدة لنسج أثوابهم في قصورهم تسفي دور الطراز لذلك. وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز، ينظر في أمور الصباغ والآلة والحاكة فيها، وإجراء أرزاقهم وتسهيل آلتهم ومشاركة أعمالهم. وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم. وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالأندلس، والطوائف من بعدهم، وفي دولة العبيديين بمصر، ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق. ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه لضيق نطاقها في الاستيلاء، وتعددت الدول، تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من أكثر الدول بالجملة. ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة، لم يأخذوا بذلك أول دولتهم، لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن إمامهم محمد ابن تومرت الامهدي وكانوا يتورعون عن لباس

الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها أعقابها آخر الدوله طرفاً لم يكن بتلك النباهة وأما لهذا العهد فأدركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخها رسماً جليلاً لقنوه من دولة ابن الأحمر معاصريهم بالأندلس، واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف، فأتى منه بلمحة شاهدة بالأثر. وأما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز تحرير آخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم إلا أن ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وطائف دولتهم، وإنما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص، ويسمونه المزرکش- لفظ أعجمية ويرسم اسم السلطان أو الأمير عليه ويعدده الصانع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللائقة بها. والله مقدر الليل والنهار، والله خير الوارثين.

الفساطيط والسياح:

إعلم أن من شارات الملك وترفه اتخاذ الأخبية الفساطيط والغازات من ثياب الكتان والصوف والقطن بجدل الكتان والقطن، فيباهى بها في الإسفار وتنوع منها الألوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار، وإنما يكون الأمر في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك. وكان العرب لعهد الخلفاء الأولين من بني أمية إنما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياماً من الوبر والصوف. ولم تزل العرب لذلك العهد بادين إلا الأقل منهم. فكانت أسفارهم لغزواتهم، وحروبهم بطعونهم وسائر حللهم وأحيائهم من الأهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد. وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل، بعيدة ما بين المنازل، متفرقة الأحياء، يغيب كل واحدٍ منها عن نظر صاحبه مع الأخرى كشأن العرب. ولذلك كان عبد الملك يحتاج إلى ساقه تحشد الناس على أثره أن يقيموا إذا طعن.

ونقل أنه استعمل في ذلك الحجاج حين أشار به روح بن زنباع وقضتها في إحراق فساطيط روح وخيامه لأول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة. ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب، فإنه لا يتولى إرادتهم على الطعن إلا من يأمن بوادر السفهاء من أحيائهم، بما له من العصبية الحائلة دون ذلك، ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغناؤه فيها بعصبيته وصرامته. فلما تفننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والأمصار وانتقلوا من سكنى الخيام إلى سكنى القصور، ومن ظهر الخف إلى ظهر الحافر، اتخذوا للسكنى في أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الأشكال مقدره الأمثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة، ويدير الأمير القائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجاً من الكتان يسمى في المغرب بلسان البربر، الذي هو لسان أهله "أفراك" بالكاف التي بين الكاف والقاف، ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره. وأما في المشرق فيتخذ كل أمير وأن كان دون السلطان. ثم جنحت الدعة بالنساء والولدان إلى المقام بقصورهم ومنازلهم، فخص لذلك ظهرهم وتقاربت السياج بين منازل العسكر، واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد، يحصره البصر في بسطة زهواً أنيقاً لاختلاف ألوانه. واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها. وكذا كانت دولة الموحدين وزناتة التي أطلت. كان سفرهم أول أمرهم في بيوت سكناهم قبل الملك من الخيام والقباطين، حتى إذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا إلى سكنى الأخبية والفساطيط، وبلغوا من ذلك فوق ما أرادوه وهو من الترف بمكان. إلا أن العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولخفتهم من الأهل

הוא מיועד לשימוש בלבד. כל שינוי או תוספת לטקסט זה עלולה לגרום לנזק או לנזק נוסף. כל שינוי או תוספת לטקסט זה עלולה לגרום לנזק או לנזק נוסף.

הודעה חשובה

הודעה חשובה

הודעה חשובה. כל שינוי או תוספת לטקסט זה עלולה לגרום לנזק או לנזק נוסף. כל שינוי או תוספת לטקסט זה עלולה לגרום לנזק או לנזק נוסף. כל שינוי או תוספת לטקסט זה עלולה לגרום לנזק או לנזק נוסף. כל שינוי או תוספת לטקסט זה עלולה לגרום לנזק או לנזק נוסף.

התורה והנבואה, וכן כל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר.

והנה כי כל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר. וכל המעשים והמאמרים הנקראים חומש המדבר.

עבודתו של ה"מ"ם וה"מ"ר וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'...

הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'...

הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'...

הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'...

הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'... הנהגתו של רבינו יונה וכו'...

וכו'... וכו'... וכו'...

וכו'... וכו'... וכו'...

.הכנסת המיוחדת לא יבצע את תפקידיו המיוחדים

:הוא

הכנסת המיוחדת תבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שהשר ימנה, והשר יבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה, והממשלה תבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שההגות ימנה, וההגות תבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה. השר והממשלה וההגות יבצעו את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה.

:הוא

השר והממשלה וההגות יבצעו את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה, והשר יבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה, והממשלה תבצע את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שההגות ימנה, וההגות תבצע את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה. השר והממשלה וההגות יבצעו את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה.

השר והממשלה וההגות יבצעו את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה

:הוא יבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה, והשר יבצע את תפקידיו המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה, והממשלה תבצע את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שההגות ימנה, וההגות תבצע את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה. השר והממשלה וההגות יבצעו את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה. השר והממשלה וההגות יבצעו את תפקידיהם המיוחדים בהתאם לתקנות שהממשלה תמנה.

התקנתם את התוכנית, תוכלו להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש. **התקנתם את התוכנית** כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש.

התקנתם את התוכנית כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש.

התקנתם את התוכנית כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש.

:(התקנתם את התוכנית)

התקנתם את התוכנית כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש.

התקנתם את התוכנית כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש.

התקנתם את התוכנית כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש. "התקנתם את התוכנית" :התקנתם

התקנתם את התוכנית כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש. **התקנתם את התוכנית** כדי להשתמש בה כדי להגדיר את התוכנית להקלט את המידע הנדרש.

התורה והנבואה הם שני עולמות שונים. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה.

הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה.

הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה.

הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה. הנבואה היא תורה חיה, והתורה היא נבואה מתהווה.

... .

: .

... .

אנו מאשרים לך להעביר את כל המידע שיש לנו עליך למחלקות השונות של משרדנו ו/או לחברות בנות בבעלותנו או בשליטתנו, לצורך מתן השירותים עליהם נתבקשנו. מידע זה יועברת גם למחלקות המסלול השונות של משרדנו ו/או לחברות בנות בבעלותנו או בשליטתנו, לצורך מתן השירותים עליהם נתבקשנו. מידע זה יועברת גם למחלקות המסלול השונות של משרדנו ו/או לחברות בנות בבעלותנו או בשליטתנו, לצורך מתן השירותים עליהם נתבקשנו. מידע זה יועברת גם למחלקות המסלול השונות של משרדנו ו/או לחברות בנות בבעלותנו או בשליטתנו, לצורך מתן השירותים עליהם נתבקשנו. מידע זה יועברת גם למחלקות המסלול השונות של משרדנו ו/או לחברות בנות בבעלותנו או בשליטתנו, לצורך מתן השירותים עליהם נתבקשנו.

העברת מידע למטרות אחרות

אנו מודים לך על שיתוף המידע עם משרדנו

אנחנו מודים לך על שיתוף המידע עם משרדנו. אנחנו נשתמש במידע זה כדי לספק לך את השירותים עליהם נתבקשנו. מידע זה יועברת גם למחלקות המסלול השונות של משרדנו ו/או לחברות בנות בבעלותנו או בשליטתנו, לצורך מתן השירותים עליהם נתבקשנו.

.הם יתקבלו בתנאים שיש להם חשיבות רבה במסגרת המערכת הכלכלית והחברתית. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך.

הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך. הממשלה צריכה להבטיח שהמקורות המימניים יהיו יציבים וזמינים לטווח הארוך.

התורה נחלקת לשלושה חלקים: חוקים, מנהגים ודעות. החוקים הם הדברים שאין להם שום ספק, והם המצוות והעונשים. המנהגים הם הדברים שאינם חוקים, אבל הם מנהגים של כל ישראל, והם המנהגים של התורה. הדעות הם הדברים שאינם חוקים, והם המנהגים של כל איש ואיש, והם המנהגים של התורה. החוקים הם הדברים שאין להם שום ספק, והם המצוות והעונשים. המנהגים הם הדברים שאינם חוקים, אבל הם מנהגים של כל ישראל, והם המנהגים של התורה. הדעות הם הדברים שאינם חוקים, והם המנהגים של כל איש ואיש, והם המנהגים של התורה. החוקים הם הדברים שאין להם שום ספק, והם המצוות והעונשים. המנהגים הם הדברים שאינם חוקים, אבל הם מנהגים של כל ישראל, והם המנהגים של התורה. הדעות הם הדברים שאינם חוקים, והם המנהגים של כל איש ואיש, והם המנהגים של התורה.

الذين كانوا يترددون على بيتهم في ذلك الوقت. وكانوا يترددون على بيتهم في ذلك الوقت. وكانوا يترددون على بيتهم في ذلك الوقت.

:000

ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون إلى الفرار عن الرتب والتخلص من ربة السلطان، بما حصل في أيديهم من مال الدولة إلى قطر آخر، ويرون أنه هنا لهم وأسلم في إنفاقه وحصول ثمرته. وهو من الأغلاط الفاحشة والأوهام المفسدة أحوالهم وديناهم. واعلم أن الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير ممتنع. فأن صاحب هذا الغرض إذا كان هو الملك نفسه، فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين، ولا أهل العصبية المزاحمون له، بل في ظهور ذلك منه هدم لملكه وإتلاف لنفسه بمجاري العادة بذلك، لأن ربة الملك يعسر الخلاص منها، ولا سيما عند استفحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر. وأما إذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب في دولته، فقل أن يخلى بينه وبين ذلك أما أولاً فلما يراه الملوك أن ذوبهم وحاشيتهم، بل وسائر رعاياهم مماليك لهم، مطلعون على ذات صدورهم، فلا يسمحون بحل ربقته من الخدمة ضنا بأسرارهم وأحوالهم أن يطلع عليها أحد، وغيره من خدمته لسواهم. ولقد كان بنو أمية بالأندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس، فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم، وما أبيع الحج لأهل الدول من الأندلس إلا بعد فراغ شأن الأموية ورجوعها إلى الطوائف. وأما ثانياً فأنهم وأن سمحوا بحل ربقته هو فلا يسمحون بالتجافي عن ذلك المال، لما يرون أنه جزء من مالهم كما يرون أنه جزء من دولتهم، إذ لم يكتسب إلا بها وفي ظل جاهها، فتحوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتقامه كما هو جزء من الدولة ينتفعون به. ثم إذا توهمنا أنه خلص بذلك المال إلى قطر آخر، وهو في النادر الأقل، فتمتد إليه أعين الملوك بذلك القطر وينتزعونه بالإرهاب والتخويف تعريضاً أو

بالقهر ظاهراً، لما يرون أنه مال الجباية والدول، وأنه مستحق للأنفاق في المصالح. وإذا كانت أعينهم تمتد إلى أهل الثروة واليسار المكتسبين من وجوه المعاش، فأحرى بها أن تمتد إلى أموال الجباية والدول التي تجد السبيل إليه بالشرع والعادة. ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحياني تاسع أو عاشر ملوك الحفصيين بأفريقية الخروج عن عهدة الملك واللاحق بمصر فراراً من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس، فاستعمل اللحياني الرحلة إلى ثغر طرابلس يوري بتمهيده، وركب السفين من هنالك؛ وخلص إلى الإسكندرية بعد أن حمل جميع ما وجده بيت المال من الصامت والذخيرة، وباع كل ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجواهر، حتى الكتب، واحتمل ذلك كله إلى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون، سنة سبع عشرة من المائة الثامنة؛ فأكرم نزله ورفع مجلسه، ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئاً فشيئاً بالتعريض إلى أن حصل عليها، ولم يبق معاش ابن اللحياني إلا في جرابته التي فرضت له؛ إلى أن هلك سنة ثمان وعشرين حسبما تذكره في أخباره. فهذا وأمثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب، وإنما يخلصون أن اتفق لهم الخلاص بأنفسهم؛ وما يتوقعونه من الحاجة فغلط ووهم. والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجرابات السلطانية أو بالجاه في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة. والدول أنساب؛ لكن:

النفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

والله سبحانه هو الرزاق، وهو الموفق بمنه وفضله، والله أعلم.

الفصل الثاني والأربعون

في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعالم، ومنه مادة العمران. فإذا احتجن السلطان الأموال أو الجبايات، أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها، قل حينئذٍ ما بأيدي الحاشية والحامية، وانقطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم، وقلت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد، ونفقاتهم أكثر مادة للأسواق ممن سواهم. فيقع الكساد حينئذٍ في الأسواق، وتضعف الأرباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك؛ لان الخراج والجبابة إنما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الأسواق وطلب الناس للفوائد والأرباح. ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذٍ بقفة الخراج. فإن الدولة كما قلناه هي السوق الأعظم، أم الأسواق كلها، وأصلها ومادتها في الدخل والخرج، فإن كسدت وقفت مصارفها فأجدر بما بعدها من الأسواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه. وأيضاً فالمال إنما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم إليه، ومنه إليهم، فإذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية. سنة الله في عباده.

الفصل الثالث والأربعون

في أن الظلم مؤذن بخراب العمران

إعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها

لما يرونه حينئذٍ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم. وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك. وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها. وإن كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته. والعمران ووفوره ونفاق أشواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين. فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران، وانتقضت الأحوال وابتدع الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، فخف ساكن القطر، وختل دياره، وخرت أمصاره، واختل باختلاله حال الدولة والسلطان؛ لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة. وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن الموبدان صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام، وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة، بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها، فقال له: أن يوماً ذكراً بروم نكاح يوم أنثى، وإنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها؛ وقال لها: أن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية، وهذا أسهل مرام. فتنه الملك من غفلته وخلا بالموبدان وسأله عن مراده، فقال له: أيها الملك أن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية، والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشرعية إلا بالملك؛ ولا عز للملك إلا بالرجال؛ ولا قوام للرجال إلا بالمال؛ ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة؛ ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل. والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبه الرث وجعل له قيماً، وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها

وعمارها؛ وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال، وأقطعها الحاشية والخدم وأهل البطالة، فتركوا العمارة، والنظر في العواقب وما يصلح الضياع، وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك. ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع؛ فانجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم، وأووا إلى ما تعذر من الضياع فسكنوها، فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية، وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها. فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه، وانتزعت الضياع من أيدي الخاصة وردت على أربابها، وحملوا على رسومهم السالفة، وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم، فعمرت الأرض وأخصبت البلاد وكثرت الأموال عند جباة الخراج، وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء وشحنت الثغور، وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه، فحسنت أيامه وانتظم ملكه. فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب لل عمران، وأن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض. ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التي بها، ولم يقع فيها خراب. واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل مصر. فلما كان مصر كبيراً وعمرانه كثيراً وأحواله متسعة بما لا ينحصر، كان وتوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً؛ لان النقص إنما يقع بالتدرج. فإذا خفي بكثرة الأحوال واتساع الأعمال في مصر لم يظهر أثره إلا بعد حين. وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب مصر وتجيء الدولة الأخرى، فترفعه بجدها، وتجبر النقص الذي كان خفياً فيه، فلا يكاد يشعر به، إلا أن ذلك في الأقل النادر. والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه، وباله عائد على الدول. ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكة من غيم عوضٍ ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك. وكل من أخذ فلك أحدٍ أو غضبه في عمله أو طالبه بغير حقٍ أو فرض عليه

حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه. فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإزهاقه الآمال من أهله. واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة، من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران، كانت حكمة الحظر فيه موجودة، فكان تحريمه مهماً. وأدلته من القرآن والسنة كثير؛ أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر. ولو كان كل واحدٍ قادراً عليه لوضع بإزائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بإزاء غيره من المفسدات للنوع، التي يقدر كل أحدٍ على اقترافها من الزنا والقتل والسكر. إلا أن الظلم لا يقدر عليه إلا من يقدر عليه، لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان، فيبلغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه، عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه في نفسه. (وما ربك بظلام للعبيد). ولا تقولن أن العقوبة قد وضعت بإزاء الحراية في الشرع، وهي من ظلم القادر؛ لان المحارب زمن حرايته قادر. فإن في الجواب عن ذلك طريقين. أحدهما أن تقول: العقوبة على ما يقترفه من الجنايات في نفس أو مال على ما ذهب إليه كثير، وذلك إنما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجنايته، وأما نفس الحراية فهي خلو من العقوبة. الطريق الثاني أن تقول: المحارب لا يوصف بالقدرة لأننا إنما نعني بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة؛ فهي المؤذنة بالخراب؛ وأما قدرة المحارب فإنما هي إخافة يجعلها ذريعة لأخذ الأموال؛ والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعاً وسياسة؛ فليست من القدر المؤذن بالخراب. والله قادر على ما يشاء.

فصل:

ومن أشدّ الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق. وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات كما سنيين في باب الرزق؛ لأن الرزق والكسب إنما هو قيم أعمال أهل العمران. فإذا مساعيتهم وأعمالهم كفيها متمولات ومكاسب لهم، بل لا مكاسب لهم سواها؛ فإن الرعية المعتملين في العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك. فإذا كلفوا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخرًا في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك، وهو متمولهم فدخل عليهم الضرر، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم، بل هو معاشهم بالجملة. وإن تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم في العمارة، وقعدوا عن السعي فيها جملة فأدى إلى انتقاض العمران وتخريبه. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

الاحتكار:

وأعظم من ذلك في الظلم وإفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس، بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشراء والبيع. وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على التواحي والتعجيل، فيتعللون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحدثهم المطامع من جبر ذلك بحوالة الأسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء، إلى بيعها بأبخس الأثمان، وتعود خسارة ما بين الصفقتين على رؤوس أموالهم. وقد يعم ذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الآفاق في البضائع، وسائر السوق، وأهل الدكاكين في المآكل والفواكه، وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات والمواعين، فتشمل الخسارة سائر الأصناف والطبقات، وتتوالى على الساعات، وتجحف برؤوس الأموال، ولا يجدون عنها وليجة إلا القعود عن الأسواق لذهاب رؤوس الأموال في جبرها بالأرباح، ويتناقل الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك، فتكسد الأسواق ويبطل معاش الرعايا، لأن عامته من البيع والشراء. وإذا كانت الأسواق عطلاً منها بطل معاشهم، وتنقص جباية

السلطان أو تفسد، لأن معظمها من أوسط الدولة، وما بعدها إنما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه. ويؤول ذلك إلى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة. ويتطرق هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به. هذا ما كان بأمثال هذه الذرائع والأسباب إلى أخذ الأموال وأما أخذها مجاناً والعدوان على الناس في أموالهم وحرمتهم ودمائهم وأسرارهم وإعراضهم فهو يفضي إلى الخلل والفساد دفعة، وتنتقض الدولة سريعاً بما ينشأ عنه من الهرج المفضي إلى الانتقاض. ومن أجل هذه المفاصد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء، وحظر أكل أموال الناس بالباطل سداً لأبواب المفاصد المفضية إلى انتقاض العمران بالهرج أو بطلان المعاش. واعلم أن الداعي لذلك كله إنما هو حاجة الدولة والسلطان إلى الإكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الأحوال، فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة، فيستحدثون ألقاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج. ثم لا يزال الترف يزيد، والخرج بسببه يكثر، والحاجة إلى أموال الناس تشتد، ونطاق الدولة بذلك يزيد، إلى أن تتمحي دائرتها ويذهب رسمها ويغلبها طالبها. والله أعلم.

الفصل الرابع والأربعون

في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم

إعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه، لأنه لا بد لها من العصبية التي بها يتم أمرها ويحصل استيلاؤها، والبدواة هي شعار العصبية، والدولة أن كان قيامها بالدين فإنه بعيد عن منازع الملك؛ وإن كان قيامها بعز الغلب فقط، فالبدواة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضاً عن منازع الملك ومذاهبه. فإذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبدواة والقرب من الناس وسهولة الإذن. فإذا رسخ عزه وصار إلى الانفراد

بالمجد، واحتاج إلى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع أوليائه في خواص شؤونه، لما يكثر حينئذٍ من بحاشيته، فيطلب الانفراد عن العامة ما استطاع، ويتخذ الإذن ببابه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته، ويتخذ حاجباً له عن الناس يقيمه ببابه لهذه الوظيفة. ثم إذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالته أخلاق صاحب الدولة إلى أخلاق الملك، وهي أخلاق غريبة مخصوصة، يحتاج مباشرها إلى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها. وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم، فسخطوه وصاروا إلى حالة الانتقام منه. فانفرد بمعرفة هذه الآداب الخواص من أوليائهم، وحجبا غير أولئك الخاصة عن لقائهم في كل وقت، حفظاً على أنفسهم من معاينة ما يسخطهم، وعلى الناس من التعرض لعقابهم. فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الأول، يفضي إليهم منه خواصهم من الأولياء، ويحجب دونه من سواهم من العامة. والحجاب الثاني يفضي إلى مجالس الأولياء، ويحجب دونه من سواهم من العامة. والحجاب الأول يكون في أول الدولة كما ذكرنا، كما حدث لأيام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية، وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب جريباً على مذهب الاشتقاق الصحيح. ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف، وكملت خلق الملك على ما يجب فيها، فدعا ذلك إلى الحجاب الثاني، وصار اسم الحاجب أخص به، وصار بباب الخلفاء داران للعباسية: دار الخاصة؛ ودار العامة، كما هو مسطور في أخبارهم. ثم حدث في الدول حجاب ثالث أخص من الأولين، وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة. وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك إذا نصبوا الأبناء من

الأعقاب، وحاولوا الاستبداد عليهم، فأول ما يبدأ به ذلك المستبد أن يحجب عنه بطانة أبيه وخواص أوليائه، يوهمه أن في مباشرتهم إياه خرق حجاب الهيبة، وفساد قانون الأدب، ليقطع بذلك لقاء الغير، ويعوده ملابسة أخلاقه هو، حتى لا يتبدل به سواه، إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه، فيكون هذا الحجاب من دواعيه. وهذا الحجاب لا يقع في الغالب إلا أواخر الدولة كما قدمناه في الحجر. ويكون دليلاً على هرم الدولة ونفاد توثها. وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم؛ لأن القائمين بالدولة يحاولون ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم، لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه.

الفصل الخامس والأربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

إعلم أن أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها. وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها، ويستبد صاحب الدولة بالمجد وينفرد به، يأنف حينئذٍ عن المشاركة، وبصير إلى قطع أسبابها ما استطاع، بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه. فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم، ونزعوا إلى القاصية واجتمع إليهم من يلحق بهم، مثل حالهم من الاغترار والاسترابة. ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية؛ فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها. ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة، حتى يقاسم الدولة أو يكاد. وانظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حريزاً مجتمعاً، ونطاقهاً ممتداً في الاتساع، وعصية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر، فلم ينبض عرق من الخلاف سائر أيامه؛ إلا ما كان من بدعة الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم، لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رئاسة، ولم يتم

أمرهم لمزاحمتهم العصبية القوية. ثم لما خرج الأمر من بني أمية، واستقل بنو العباس بالأمر، وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف، وأذنت بالتقلص عن القاصية، نزع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، قاصية دولة الإسلام، فاستحدث بها ملكاً واقتطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين. ثم نزع إدريس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره، وأمر ابنه من بعده البرابرة من أوربة ومغيلة وزناتة، واستولى على ناحية المغربين. ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطرب الأغلبية في الامتناع عليهم. ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كتامة وصنهاجة، واستولوا على أفريقية والمغرب، ثم مصر والشام والحجاز، وغلبوا على الأدارسة، وقسموا الدولة دولتين آخرين، وصارت الدولة العربية ثلاث دول: دولة بني العباس بمركز العرب، وأصلهم ومادتهم الإسلام؛ ودولة بني أمية المجددين بالأندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق؛ ودولة العبيديين بأفريقية ومصر والشام والحجاز. ولم تزل هذه الدول إلى أن أصبح انقراضها متقارباً أو جميعاً. وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى: وكان بالقاصية بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان؛ والعلوية في الديلم وطبرستان؛ وآل ذلك إلى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء. ثم جاء السلجوقية فملكوا جميع ذلك. ثم انقسمت دولتهم أيضاً بعد الاستفحال كما هو معروف في أخبارهم. وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وأفريقية، لما بلغت إلى غايتها أيام باديس بن المنصور، خرج عليه عمه حماد واقتطع ممالك الغرب لنفسه، ما بين جبل أوراس إلى تلمسان وملوية، واختط القلعة بجبل كتامة حبال المسيلة، ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطري، واستحدث ملكاً آخر قسيماً لملك آل باديس، وبقي آل باديس بالقيروان وما إليها، ولم يزل ذلك إلى أن انقرض أمرهما جميعاً. وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار بأفريقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها، واستحدثوا ملكاً لأعقابهم بنواحيها. ثم لما استفحل أمرهم واستولى على الغاية، خرج على الممالك الغربية من

أعقابهم الأمير أبو زكريا يحيى ابن السلطان أبي إسحاق إبراهيم رابع خلفائهم، واستحدث ملكاً بجباية وقسنطينة وما إليها، أورثه بنيه، وقسموا به الدولة قسمين، ثم استولوا على كرسي الحضرة بتونس، ثم انقسم الملك ما بين أعقابهم، ثم عاد الاستيلاء فيهم. وقد ينتهي الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاثٍ وفي غير أعياص الملك من قومه، كما وقع في ملوك الطوائف بالأندلس، وملوك العجم بالمشرق، وفي ملك صنهاجة بأفريقية؛ فقد كان لأخر دولتهم في كل حصن من حصون أفريقية نائز مستقلّ بأمره كما تقدم ذكره. وكذا حالّ الجريد والزاب من أفريقية قبيل هذا العهد كما نذكره. وهكذا شأن كل دولةٍ لا بد وأن يعرض فيها عوارض الهرم بالترف والدعة ولقلص ظل الغلب، فيقتسم أعياصها أو من يغلب من رجال دولتها الأمر وتتعدد فيها الدول والله وارثُ الأرض ومن عليها.

الفصل السادس والأربعون

في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحداً بعد واحدٍ، وبيننا أنها تحدث للدولة بالطبع، وأنها كلها أمور طبيعية لها. وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية، كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني. والهرم من الأمراض المزمّنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها؛ لما أنه طبيعي، والأمور الطبيعية لا تتبدل. وقد يتنبه كثير من أهل الدول ممن له يقظة فم السياسة، فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم، ويظن انه ممكن الارتفاع، فيأخذ نفسه بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها عن ذلك الهرم م، وبحسبه انه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم؛ وليس كذلك، فإنها أمور طبيعية للدولة، والعوائد هي المانعة له من تلافياها. والعوائد منزلة طبيعية أخرى؛ فإن من أدرك مثلاً أباه وأكثر

أهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويتحلون بالذهب في السلاح والمراكب، ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات، فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس؛ إذ العوائد حينئذٍ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه. ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة، وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه. وانظر شأن الأنبياء في إنكار العوائد ومخالفتها، لولا التأييد الإلهي والنصر السماوي. وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الأبهة تعوض عن موقعها من النفوس. فإذا أزيلت تلك الأبهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب أوهام الأبهة؛ فتتدرب الدولة بتلك الأبهة ما أمكنها حتى ينقضي الأمر. وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها وبومض ذبالها إيماضة الخمود، كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال، وهي انطفاء. فاعتبر ذلك، ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه. (ولكل أجل كتاب).

الفصل السابع والأربعون

في كيفية طروق الخلل للدولة

إعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما. فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجندي؛ والثاني المال الذي هو قوام أولئك الجندي، وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال. والخلل إذا طروق الدولة طرقتها في هذين الأساسين. فلنذكر أولاً طروق الخلل في الشوكة والعصبية؛ ثم نرجع إلى طروقه في المال والجبابة.

1- وإعلم أن تمهيد الدولة وتأسيسها كما قلناه إنما يكون بالعصبية، وأنه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها، وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة. فإذا جاءت الدولة طبيعاً الملك من الترف وجدع أنوف أهل

العصية كان أول ما يجدع أنوف عشيرته وذوي قرياه المقاسمين له في اسم الملك؛ فيستبد في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم. لمكانهم من الملك والعز والغلب ، فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر. ثم يصير القهر آخراً إلى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الأمر، فيقلب غيرته منهم إلى الخوف على ملكه، فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير منه، فيهلكون ويقفون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم، وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها، فتتحل عروتها وتضعف شكيمتها، وتستبدل عنها بالبطالة من موالي النعمة وصنائع الإحسان ويتخذ منهم عصبية؛ إلا أنها ليست مثل تلك الشدة الشكيمية، لفقدان الرحم والقراية منها. وقد كنا قدمنا أن شأن العصبية وقوتها إنما هي بالقراية والرحم، لما جعل الله في ذلك. فينفرد صاحب الدولة عن العشير والأنصار الطبيعية، ويحس بذلك أهل العصائب أخرى، فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسراً طبيعياً فيهلكهم صاحب الدولة، ويتبعهم بالقتل واحداً بعد واحدٍ. ويقلد الآخر من أهل الدولة في ذلك الأول؛ مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا. فيستولي عليهم الهلاك بالترف والقتل، حتى يخرجوا عن صيغة تلك العصبية ويفشوا بعزتها ويصيروا إوجز على الحماية، ويقلون لذلك، فتقل الحماية التي تنزل بالأطراف والثغور؛ فيتجاسر الرعايا على نقض الدعوة في الأطراف، ويبادر الخوارج على الدولة من الأعياص وغيرهم إلى تلك الأطراف لما يرجون حينئذٍ من حصول غرضهم بمبايعة أهل القاصية لهم وأمنهم من وصول الحماية إليهم. ولا يزال يتدرج ونطاق الدولة يتضابق حتى تصير الخوارج في أقرب الأماكن إلى مركز الدولة. وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين أو ثلاثٍ، على قدر قوتها في الأصل كما قلناه، ويقوم بأمرها غير أهل عصبيتها، لكن إذعائاً لأهل عصبيتها ولغلبهم المعهود. واعتبر هذا في دولة العرب في الإسلام؛ انتهت أولاً إلى الأندلس والهند والصين

. وكان أمر بني أمية نافذاً في جميع العرب بعصية بني عبد مناف، حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره. ثم تلاشت عصية بني أمية بما أصابهم من الترف فانقرضوا. وجاء بنو العباس فغضوا من أئنة بني هاشم وقتلوا الطالبين وشردوهم، فانحلت عصية عبد مناف وتلاشت، وتجاسر العرب عليهم، فاستبد عليهم أهل القاصية مثل بني الأغلب بأفريقية وأهل الأندلس وغيرهم، وانقسمت الدولة. ثم خرج بنو إدريس بالمغرب، وقام البربر بأمرهم إذعاناً للعصية التي لهم، وأمناً أن تصلهم مقاتلة أو حامية للدولة. فإذا خرج الدعاة آخراً فيتغلبون على الأطراف والقاصية، وتحصل لهم هناك دعوة وملك تنقسم به الدولة. وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة تقلصاً، إلى أن ينتهي إلى المركز، وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف، فتهلك وتضمحل، وتضعف الدولة المنقسمة كلها.

وربما طال أمدها بعد ذلك فتستغني عن العصية بما حصل لها من الصيغة في نفوس أهل إيالتها، وهي صيغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل أحد من الأجيال مبدأها ولا أوليتها، فلا يعقلون إلا التسليم لصاحب الدولة، فيستغني بذلك عن قوة العصائب، ويكفي صاحبها، بما حصل لها في تمهيد أمرها الأجراء على الحامية من جندي ومرترق. ويعضد ذلك ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد أحد أن يتصور عصياناً أو خروجاً إلا والجمهور منكرون عليه مخالفون له؛ فلا يقدر على التصدي لذلك ولو جهد جهده. وربما كانت الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صيغة التسليم والانقياد لهم. فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يختلج في ضميرها انحراف عن الطاعة؛ فيكون أسلم من الهرج والانتقاض الذي يحدث من العصائب والعشائر. ثم لا يزال أمر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها، شان الحرارة الغريزية في البدن العادم للغذاء، إلى أن تنتهي إلى وقتها المقدور. (ولكل أجل كتاب)، ولكل دولة أمد. (والله يقدر الليل والنهار)، وهو

الواحد القهار.2- وأما الخلل الذي يتطرق من جهة المال، فاعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية كما مر، فيكون خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات، والتعفف عن الأموال، فتتجافى عن الإمعان في الجباية، والتحذلق والكيس في جمع الأموال وحسبان العمال، ولا داعية حينئذٍ إلى الإسراف في النفقة، فلا تحتاج الدولة إلى كثرة المال. ثم يحصل الاستيلاء وبعضهم، ويستفحل الملك، فيدعو إلى الترف، ويكثر الإنفاق بسببه؛ فتعظم نفقات السلطان وأهل الدولة على العموم، بل يتعدى ذلك إلى أهل المصر، ويدعو ذلك إلى الزيادة في أعطيات الجند وأرزاق أهل الدولة. ثم يعظم الترف فيكثر الإسراف في النفقات، وينتشر ذلك في الرعية، لأن الناس على دين ملوكها وعوائدها. ويحتاج السلطان إلى ضرب المكوس على أثمان البياعات في الأسواق لإدراج الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه، ولما يحتاج هو إليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنده. ثم تزيد عوائد الترف فلا تفي بها المكوس، وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن تحت يدها من الرعايا، فتمتد أيديهم إلى جمع المال من أموال الرعايا، من مكس أو تجارة أو نقد في بعض الأحوال، بشبهة أو بغير شبهة. ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسر على الدولة بما لحقها من الفشل والهرم في العصبية فتتوقع ذلك منهم، وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الإنفاق فيهم، ولا تجد عن ذلك وليجة. ويكون جباة الأموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بأيديهم، وبما اتسع لذلك من جاههم، فيتوجه إليهم باحتجان الأموال من الجباية، وتفشو السعاية فيهم بعضهم عن بعض للمنافسة والحقد، فتعمهم النكبات والمصادرات واحداً واحداً إلى أن تذهب ثروتهم وتلاشى أحوالهم، ويفقد ما كان للدولة من الأبهة والجمال بهم. فإذا اصطلمت نعمتهم تجاوزتهم الدولة إلى أهل الثروة من الرعايا سواهم. ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق الشوكة، وضعفت عن الاستطالة والقهر، فتتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذٍ إلى مداراة الأمور ببذل المال، وبراه أرفع من

السيف لقله غنائه. فتعظم حاجته إلى الأموال زيادة على النفقات وأرزاق الجند، ولا يغني فيما يريد. ويعظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها أهل النواحي؛ والدولة تنحل عراها في كل طور من هذه، إلى أن تفضي إلى الهلاك وتتعرض لاستيلاء الطلاب. فإن قصدها طالما انتزعها من أيدي القائمين بها، وإلا بقيت وهي تتلاشى إلى أن تضمحل كالذبال في السراج إذا فني زيته وطفئ. والله مالك الأمور ومدير الأكوان، لا إله إلا هو.

الفصل الثامن و الأربعون

فصل في اتساع نطاق الدولة

أولاً إلى نهايته ثم تضايقه طوراً بعد طور

إلى فناء الدولة واضمحلالها

قد كان تقدم لنا في فصل الخلافة والملك، وهو الثالث من هذه المقدمة، أن كل دولة لها حصة من الممالك والعمالات لا تزيد عليها. واعتبر ذلك بتوزيع عصابة الدولة على حماية أقطارها وجهاتها. فحيث نفذ عددهم فالطرف الذي انتهى عنده هو الثغر؛ ويحيط بالدولة من سائر جهاتها كالنطاق. وقد تكون النهاية هي نطاق الدولة الأولى. وقد يكون أوسع منه إذا كان عدد العصابة أوفر من الدولة قبلها. وهذا كله عندما تكون الدولة في شعار البداوة وخشونة البأس. فإذا استفحل العز والغلب وتوفرت النعم والأرزاق بدرور الجبايات، وزخر بحر الترف والحضارة ونشأت الأجيال على اعتبار ذلك لطفت أخلاق الحامية ورقت

حواشيهم. وعاد من ذلك إلى نفوسهم هيئات الجبن والكسل، بما يعانونه من صنث الحضارة المؤدي إلى الانسلاخ من شعار البأس والرجولية، بمفارقة البداوة وخشونتها، وبأخذهم العز بالتناول إلى الرئاسة والتنازع عليها؛ فيفصي إلى قتل بعضهم بعض، ويكبحهم السلطان عن ذلك بما يؤدي إلى قتل أكابره وإهلاك رؤسائهم؛ فتفقد الأمراء والكبراء، ويكثر التابع والمرؤوس، فيقل ذلك من حد الدولة، ويكسر من شوكتها. ويقع الخلل الأول في الدولة، وهو الذي من جهة الجند والحامية كما تقدم. ويساوق ذلك السرف في النفقات بما يعتر بهم من أبهة العز، وتجاوز الحدود بالبذخ؛ بالمناعة في المطاعم والملابس وتشديد القصور واستجادة السلاح وارتباط الخيول، فيقصر دخل الدولة حينئذٍ عن خرجها ويترك الخلل الثاني في الدولة وهو الذي من جهة المال والجباية. ويحصل العجز والانتقاص بوجود الخليلين. وربما تنافس رؤساؤهم فتنازعا وعجزوا عن مغالبة المجاورين والمنازعين ومدافعتهم. وربما اعتز أهل الثغور والأطراف بما يحسون من ضعف الدولة وراءهم، فيصيرون إلى الاستغلال والاستبداد بما في أيديهم من العملات، ويعجز صاحب الدولة عن حملهم على الجادة، فيضيق نطاق الدولة عما كانت انتهت إليه في أولها، وترجع العناية في تدبيرها بنطاق دونه، إلى أن يحدث في النطاق الثاني ما حدث في الأول بعينه من العجز والكسل في العصابة وقفة الأموال والجباية. فيذهب القائم بالدولة إلى تغيير القوانين التي كانت عليها سياسة الدولة من قبل الجند والمال والولايات، ليجري حالها على استقامة بتكافؤ الدخل والخرج والحامية والعملات وتوزيع الجباية على الأرزاق، ومقايسة ذلك بأول الدولة في سائر الأحوال. والمفاسد مع ذلك متوقعة من كل جهة. فيحدث في هذا الطور من بعد ما حدث في الأول من قبل. ويعتبر صاحب الدولة ما اعتبره الأول، ويقايس

بالوزان الأول أحوالها الثانية، يروم دفع مفاسد الخلل الذي يتجدد في كل طور ويأخذ من كل طرف حتى يضيق نطاقها الآخر إلى نطاق دونه كذلك، ويقع فيه ما وقع في الأول. فكل واحدٍ من هؤلاء المغيرين للقوانين قبلهم كأنهم منشئون دولة أخرى، ومجددون ملكاً. حتى تنقرض الدولة، وتتطاول الأمم حولها إلى التغلب عليها وإنشاء في دولة أخرى لهم، فيقع من ذلك ما قدر الله وقوعه.

واعتبر ذلك في الدولة الإسلامية كيف اتسع نطاقها بالفتوحات والتغلب على أمم، ثم تزايدت وتكاثر عددهم بما تخولوه من النعم والأرزاق، إلى أن انقرض أمر بني أمية وغلب بنو العباس. ثم تزايد الترف، ونشأت الحضارة، وطرق الخلل، فضاق النطاق من الأندلس والمغرب بحدوث الدولة الأموية المر وانية والعلوية، واقتطعوا ذينك الثغرين عن نطاقها، إلى أن وقع الخلاف بين بني الرشيد، وظهر دعاة العلوية من كل جانب، وتمهدت لهم دول، ثم قتل المتوكل، واستبد الأمراء على الخلفاء وحجروهم، واستقل الولاة بالعمالات في الأطراف. وانقطع الخراج منها، وتزايد الترف. وجاء المعتضد فغير قوانين الدولة إلى قانون آخر من السياسة اقطع فيه ولاة الأطراف ما غلبوا عليه، مثل بني سامان وراء النهر وبني طاهر العراق وخراسان، وبني الصفار السند وفارس، وبني طولون مصر، وبني الأغلّب أفريقية، إلى أن افترق أمر العرب وغلب العجم، واستبد بنو بويه والديلم بدولة الإسلام وحجروا الخلافة، وبقي بنو سامان في استبدادهم وراء النهر، وتطاول الفاطميون من المغرب إلى مصر والشام فملكوه. ثم قامت الدولة السلجوقية من الترك فاستولوا على ممالك الإسلام وأبقوا الخلفاء في حجرهم، إلى أن تلاشت دولهم. واستبد الخلفاء منذ عهد الناصر في نطاق أصيق من هالة القمر وهو عراق العرب إلى أصبهان وفارس والبحرين. وأقامت الدولة كذلك بعض الشيء إلى أن انقرض أمر الخلفاء على يد هولاكو بن

طولى بن دوشي خان ملك التتر والمغل حين غلبوا السلجوقية وملكوا ما كان بأيديهم من ممالك الإسلام. وهكذا يتضايق نطاق كل دولة على نسبة نطاقها الأول. ولا يزال طوراً بعد طورٍ إلى أن تنقرض الدولة. واعتبر ذلك في كل دولة عظمت أو صغرت. فهكذا سنة الله في الدول إلى أن يأتي ما قدر الله من الفناء على خلقه. و{كل شيء هالك إلا وجهه} [سورة القصص الآية 88].

الفصل التاسع والأربعون

في حدوث الدولة وتجديدها كيف يقع

إعلم أن نشأة الدول وبدايتها إذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص يكون على نوعين: إما بأن يستبد ولاة الأعمال في الدولة بالقاصية عندما يتقلص ظلها عنهم، فتكون لكل واحدٍ منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه، يرثه عنه أبنائه أو مواليه، ويستفحل لهم الملك بالتدرج، وربما يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه، ويتنازعون في الاستئثار به، ويغلب منهم من يكون له فضل قوةٍ على صاحبه، وينتزع ما في يده؛ كما وقع في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم، وتقلص ظلها عن القاصية، واستبد بنو ساسان بما وراء النهر، وبنو حمدان بالموصل والشام، وبنو طولون بمصر؛ وكما وقع بالدولة الأموية بالأندلس وافترق ملكها في الطوائف الذين كانوا ولايتها في الأعمال، وانقسمت دولاً وملوكاً أورثوها من بعدهم من قرابتهم أو مواليتهم. وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لأنهم مستقرون في رئاستهم، ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب؛ وإنما الدولة أدركها الهرم وتقلص ظلها عن القاصية، وعجزت عن الوصول إليها.

والنوع الثاني بأن يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الأمم والقبائل إما بدعوة يحمل الناس عليها كما أشرنا إليه، أو يكون صاحب شوكةٍ وعصبيةٍ كبيراً في قومه قد استفحل أمره فيسمو بهم إلى الملك، وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة، وما نزل بها من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها، ويمارسونها بالمطالبة إلى أن يظفروا بها ويزنون أمرها كما يتبين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الخمسون

في أن الدولة المستجدة إنما تستولي علي الدولة المستقرة

بالمطالبة لا بالمناجزة

قد ذكرنا أن الدول الحادثة المتجددة نوعان: نوع من ولاية الأطراف إذا تقلص فئ الدولة عنهم وانحسر تيارها، وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الأكثر كما قدمناه، لان قصاراهم القنوع بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم؛ والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة، وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة، لان قوتهم وافية بها، فإن ذلك إنما يكون في نصاب يكون له من العصية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به؛ فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكور وتتصل إلى أن يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب. ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة. والسبب في ذلك أن الظفر في الحروب إنما يقع كما قدمناه بأمر نفسانية وهمية، وإن كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلاً به لكنه قاصر مع تلك الأمور الوهمية كما مر؛ ولذلك كان الخداع من انفع ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به؛ وفي الحديث: <<الحرب خدعة>>. والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع؛ فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكسر من همم أتباعه وأهل شوكته، وإن كان الأقربون

من بطانته على بصيرة في طاعته ومؤازرته، إلا أن الآخرين أكثر، وقد داخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة، فيحصل بعض الفتور منهم، ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة يقاوم صاحب الدولة المستقرة. فيرجع إلى الصبر والمطاولة، حتى يتضح هرم الدولة المستقرة، فتضمحل عقائد التسليم لها من قومه، وتتبعث منهم الهمم لصدق المطالبة معه، فيقع الظفر والاستيلاء. وأيضاً فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحکم لهم من الملك وتوسع من النعيم واللذات، واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية، فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الأسلحة، وتعظم فيهم الأبهة الملكية، ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختياراً واضطراً فيرهبون بذلك كله عدوهم. وأهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك؛ لما هم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق إلى قلوبهم أوهام الرعب، بما يبلغهم من أحوال الدولة المستقرة، ويحجمون عن قتالهم من أجل ذلك؛ فيصير أمرهم إلى المطاولة، حتى تأخذ المستقرة مأخذها من الهرم، ويستحكم الخلل فيها في العصبية والجباية، فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة. سنة الله في عباده. وأيضاً فأهل الدولة المستجدة كلهم مباينون للدولة المستقرة بأنسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم، ثم هم مفاخرون لهم ومنايذون بما وقع من هذه المطالبة وبطمعهم في الاستيلاء عليها، فتتمكن المباحة بين أهل الدولتين سراً وجهراً، ولا يصل إلى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة، يصيبون منه غرة باطناً وظاهراً، لانقطاع المداخلة بين الدولتين، فيقيمون على المطالبة وهم في إجماع، وينكفون عن المناجزة حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها، ووفور الخلل في جميع جهاتها، ويتضح لأهل الدولة المستجدة مع الأيام ما كان يخفى منها، من هرمها وتلاشيها، وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من

أعمالها ونقصوه من أطرافها، فتنبعث همهمم يداً واحدةً للمناجزة، ويذهب ما كان يفت في عزائمهم من التوهّمات، وتنتهي المطاولة إلى حدها، ويقع الاستيلاء آخرًا بالمعاجلة. واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها، حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين أو تزيد. وحينئذٍ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الأموية. وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم، كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية. ثم لما انقضى أمر العلوية وسما الديلم إلى ملك فارس والعراقيين، فمكثوا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا أصبهان، ثم استولوا على الخليفة ببغداد. وكذا العبيديون أقام داعيتهم بالمغرب أبو عبد الله الشيعي ببني كتامة من قبائل البربر عشر سنين، وبزيد يطاول بني الأغلب بأفريقية حتى ظفر بهم، واستولوا على المغرب كله، وسموا إلى ملك مصر؛ فمكثوا ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون إليها العساكر والأساطيل في كل وقت، ويجيء المدد لمدافعهم برأً وبحراً من بغداد والشام، وملكوا الإسكندرية والفيوم والصعيد، وتخطت دعوتهم من هنالك إلى الحجاز وأقيمت بالحرمين. ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها، واقتلع دولة بني طغج من أصولها، واختط القاهرة، فجاء الخليفة بعد، المعز لدين الله، فنزلها لستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الإسكندرية. وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني ساسان، وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحواً من ثلاثين سنة، يطاولون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته. ثم زحفوا إلى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر. وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المفازة عام سبع عشرة وستمئة فلم يتم لهم الاستيلاء إلا بعد أربعين سنة. وكذا أهل المغرب، خرج به المرابطون من لمتونة على ملوكه من مغراوة، فطاولوهم سنين، ثم استولوا عليه. ثم خرج الموحدون بدعوتهم

على لمتونة، فمكثوا نحواً من ثلاثين سنة يحاربونهم، حتى استولوا على كرسيمهم بمراكش. وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكثوا يطاولونهم نحواً من ثلاثين سنة، واستولوا على فاس واقتطعوها وأعمالها من ملكهم. ثم أقاموا في محاربتهم ثلاثين أخرى، حتى استولوا على كرسيمهم بمراكش حسبما نذكر ذلك كله في تواريخ هذه الدول. فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطاوله. سنة الله في عباده؛ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الإسلامية وكيف كان استيلاؤهم على فارس والروم لثلاث أو أربع من وفاة النبي ﷺ.

سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبعاداً بالإيمان، وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل. فكان ذلك كله خارقاً للعادة المقررة في مطاوله الدول المستجدة للمستقرة. وإذا كان ذلك خارقاً فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه، المتعارف ظهورها في الملة الإسلامية. والمعجزات لا يقاس عليها أمور العادية، ولا يعترض بها. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

الفصل الحادي الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات

إعلم انه قد تقرر لك فيما سلف أن الدولة في أول أمرها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إياها، إما من الدين أن كانت الدعوة دينية أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول. وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا، وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفر، ويكثر التناسل. وإذا كان ذلك كله بالتدريج فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل. وفي

انقضاء الجيـلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي، فيكون حينئذ العمران في غاية الوقور والنماء. ولا تقولن إنه قد مر لك أن أواخر الدولة يكون فيها الإجحاف بالرعايا، وسوء الملكة، فذلك صحيح، ولا يعارض ما قلناه؛ لان الإجحاف وإن حدث حينئذٍ، وقفت الجبايات فإنما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين، من أجل التدرج في الأمور الطبيعية. ثم أن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول. والسبب فيه: أما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر، بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فيقل احتكار الزرع غالباً؛ وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود، ولا على وتيرة واحدة، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة، والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر، والزرع والثمار والضرع على نسبته، إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار. فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع، وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا، وكان بعضى السنوات، والاحتكار مفقود، فشمـل الناس الجوع. وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه، أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل، أو وقوع الوباء. وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة. وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائماً فيسري الفساد إلى مزاجه. فإن كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة. وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة. وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف، فتكثر الحفيات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك. وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة، لما كان في أوائلها من حسن الملكة ورفقها وقلة المغرم، وهو ظاهر. ولهذا تبين في موضعه من الحكمة أن تخلل الخلاء والقفـر بين العمران ضروري، ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات

وبأتي بالهواء الصحيح. ولهذا أيضاً فإن الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير، كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب. والله يقدر ما يشاء.

الفصل الثاني والخمسون

في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره

إعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه، وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه؛ وحكمة فيهم؛ تارةً يكون مستنداً إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه؛ وتارةً إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم. فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط. وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب، وإنما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحدٍ من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام رأساً. ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك " بالمدينة الفاضلة"؛ والقوانين المراعاة في ذلك " بالسياسة المدنية". وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة؛ فإن هذه غير تلك. وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع، وإنما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير. ثم إن السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين: أحدهما يراعى

فيها المصالح على العموم، ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص. وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة. وقد أغنانا الله تعالى عنها في الملة ولعهد الخلافة، لأن الأحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآداب، وأحكام الملك مندرجة فيها. الوجه الثاني أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة، وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً. وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر. إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب جهدهم؛ فقوانينها إذا مجتمعة من أحكام شرعية، وآداب خلقية، وقوانين في الاجتماع طبيعية، وأشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية؛ والاعتداء فيها بالشرع أولاً، ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم. ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما. فكتب إليه أبوه طاهر كتابة المشهور عهد إليه فيه، ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية، والسياسة الشرعية والملوكية، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك، ولا سوقة. ونص الكتاب:

نص كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته، ومراقبته عز وجل، ومزايلة سخطه. واحفظ رعيته في الليل والنهار. والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه واليم عذابه. فإن الله سبحانه قد احسن إليك وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل فيهم، والقيام بحقه وحدوده عليهم، والذم عنهم، والدفع عن حريمهم ومنصبهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسرهم، وإدخال الراحة عليهم. ومؤاخذك بما فرض عليك، وموقفك عليه، وسائلك عنه، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت. ففرغ لذلك فهمك

وعقلك وبصرِك، ولا يشغلك عنه شاغل، وإنه رأس أمرِك وملاك شأنك، وأول ما يوقفك الله عليه. وليكن أول ما تلزم به نفسك، وتنسب إليه فعلك، المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك، وتوقعها على سننها، من إسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها، ورتل في قراءتك؛ وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك، ولتصرف فيه رأيك ونيتك، واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك، وادأب عليها، فإنها كما قال الله عز وجل: {تُتَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت: 45].

ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله عسي

1
 2
 3
 4
 5
 6
 7
 8
 9
 10
 11
 12
 13
 14
 15
 16
 17
 18
 19
 20
 21
 22
 23
 24
 25
 26
 27
 28
 29
 30
 31
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100

Қарағанды қаласындағы әртүрлі ұлт өкілдерінің өзара қарым-қатынастарына жетекшілік ететін жергілікті билік органдарының қызметін зерттеу мақсатымен Қарағанды қаласының әкімі Ақпайғолып Жәнішевтің жетекшілігімен Қарағанды қаласының әкімінің кеңесшісі Қарашаймырза Әбдіқадырұлының басшылығымен 2008 жылғы 19 наурыз күні «Қарағанды қаласындағы ұлт аралық қарым-қатынастарды дамытуға қолдайтын ұлт өкілдерінің өзара қарым-қатынастарының мәселесін зерттеу мен шешудің жаңа тәсілдерін қарастыру мақсатында» атты іс-шараның басталуына қатысты. Іс-шара «Қарағанды қаласының әкімінің кеңесшісінің» Қарашаймырза Әбдіқадырұлының жетекшілігімен және «Қарағанды қаласының ұлт аралық қарым-қатынастарды дамытуға қолдайтын ұлт өкілдерінің өзара қарым-қатынастарының мәселесін зерттеу мен шешудің жаңа тәсілдерін қарастыру мақсатында» атты іс-шараның басталуына қатысты.

מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה. כל העתקה או שימוש אחר בלי אישור מפורש של הבעלים מהווה עבירה על חוקי זכויות יוצרים. כל הזכויות שמורות.

מסמכים מוגנים

מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה

מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה

מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה. כל העתקה או שימוש אחר בלי אישור מפורש של הבעלים מהווה עבירה על חוקי זכויות יוצרים. כל הזכויות שמורות. מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה. כל העתקה או שימוש אחר בלי אישור מפורש של הבעלים מהווה עבירה על חוקי זכויות יוצרים. כל הזכויות שמורות. מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה. כל העתקה או שימוש אחר בלי אישור מפורש של הבעלים מהווה עבירה על חוקי זכויות יוצרים. כל הזכויות שמורות. מסמכים אלו מיועדים לשימוש בלבד של המשתמש המזוהה. כל העתקה או שימוש אחר בלי אישור מפורש של הבעלים מהווה עבירה על חוקי זכויות יוצרים. כל הזכויות שמורות.

התחלה. המערכת תהיה קטנה יותר משהייתה קודם לכן. המערכת תהיה קטנה יותר משהייתה קודם לכן. המערכת תהיה קטנה יותר משהייתה קודם לכן.

המערכת תהיה קטנה יותר משהייתה קודם לכן. המערכת תהיה קטנה יותר משהייתה קודם לכן.

מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן.

מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן.

מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן. מערכת קטנה יותר משהייתה קודם לכן.

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

أرجو أن يكون صالح الحديث. وقال يزيد بن زريع: كان حروراً وكان يرى السيف على أهل القبلة. وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عنه فقال من أصحاب الحسن، وما سمعت إلا خيراً. وسمعتة مرة أخرى ذكره فقال: ضعيف، أفتى في أيام إبراهيم بن عبد الله بن حسن يفتوى شديدة فيها سفك الدماء. وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق زيد العمي عن أبي صديق

الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعضهم شيء حدث، فسألنا نبي الله ﷺ >> "هذا حديث حسن. وقد روي من" <<. لفظ الترمذي قال:

غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ. >> "هذا حديث حسن. وقد روي من" <<. لفظ الترمذي قال:

هذا حديث حسن.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: <<من خلفكم خلیفة یحثو المال حثوا>>. ومن

أخرى عنهما قال: <<یکون فی آخر الزمان خلیفة ینقسم المال ولا یعده>>. انتهى. وأحدیث مسلم لم یقع فیها ذکر المهدي ولا دلیل یقوم علی أنه المراد منها. ورواه الحاكم أيضاً من طریق عوف

الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: <<من خلفكم خلیفة یحثو المال حثوا>>. انتهى. وأحدیث مسلم لم یقع فیها ذکر المهدي ولا دلیل یقوم علی أنه المراد منها. ورواه الحاكم أيضاً من طریق عوف

الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: <<من خلفكم خلیفة یحثو المال حثوا>>. انتهى. وأحدیث مسلم لم یقع فیها ذکر المهدي ولا دلیل یقوم علی أنه المراد منها. ورواه الحاكم أيضاً من طریق عوف

الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: <<من خلفكم خلیفة یحثو المال حثوا>>. انتهى. وأحدیث مسلم لم یقع فیها ذکر المهدي ولا دلیل یقوم علی أنه المراد منها. ورواه الحاكم أيضاً من طریق عوف

ضعيف معروف الحال. وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو أضعف منه. قال أحمد بن حنبل: روي عن جابر مناكير، وبلغني انه كان يكذب، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال، كان ابن لهيعة شيخاً أحمق ضعيف العقل، وكان يقول: "عليّ في السحاب"، وكان يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول: "هذا عليّ قد مر في السحاب". وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <<يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن. فلا تسبوا أهل الشام ولكن سبوا أشرارهم فإن فيهم الأبدال. يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم. فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي في ثلاث رايات، المكثر يقول هم خمسة عشر ألفاً، والمقلل يقول هم اثنا عشر ألفاً، وأمارتهم "أمت أمت" يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك، فيقتلهم الله جميعاً، ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورايتهم >>هـ.

وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال. ورواه الحاكم في المستدرک، وقال، صحيح الإسناد، ولم يخرجاه في روايته. ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس إلى ألفتهم... الخ وليس في طريقه ابن لهيعة وهو إسناد صحيح كما ذكر. وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه، من رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال: "كنا عند علي رضي الله عنه، فسأله رجل عن المهدي، فقال علي: هيهات. ثم عقد بيده سبعاً، فقال ذلك يخرج في آخر الزمان، إذا قال الرجل الله الله قتل، ويجمع الله له قوماً قزعاً، كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم فلا

يستوحشون إلى أحد، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم، عدتهم على عدة أهل بدر، لم يسبقهم الأولون، ولا يدرّكهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. قال أبو الطفيل، قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم! قال: فإنه يخرج من بين هذين الاخشيين. قلت لا جرم والله، ولا أدعها حتى أموت، ومات بها يعني مكة، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين". انتهى. وإنما هو على شرط مسلم فقط، فإن فيه عمّاراً الذهبيّ ويونس بن أبي إسحاق، ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن محمد العبقرى، ولم يخرج له البخاري احتجاجاً بل استشهاداً، مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الذهبيّ، وهو وإن وثقة أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، فقد قال عليّ بن المديني عن سفيان أن بشر بن مروان قطع عرقوبه؟ قلت في أي شيء؟ قال: في التشيع. وخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن عليّ بن زياد اليمامي، عن عكرمة بن عمّار عن إسحاق بن عبد الله عن

أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: >> لا يخرج الله من قلبه من يحبّ الله، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم، عدتهم على عدة أهل بدر، لم يسبقهم الأولون، ولا يدرّكهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر. قال أبو الطفيل، قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم! قال: فإنه يخرج من بين هذين الاخشيين. قلت لا جرم والله، ولا أدعها حتى أموت، ومات بها يعني مكة، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين". انتهى. وإنما هو على شرط مسلم فقط، فإن فيه عمّاراً الذهبيّ ويونس بن أبي إسحاق، ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن محمد العبقرى، ولم يخرج له البخاري احتجاجاً بل استشهاداً، مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الذهبيّ، وهو وإن وثقة أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، فقد قال عليّ بن المديني عن سفيان أن بشر بن مروان قطع عرقوبه؟ قلت في أي شيء؟ قال: في التشيع. وخرج ابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر، عن عليّ بن زياد اليمامي، عن عكرمة بن عمّار عن إسحاق بن عبد الله عن

.הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה.

הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה.

הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה.

הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה. הם יתנו לי את כל המידע שהם יודעים עליי ויש לי הרבה שאלות לגבי המסמך הזה.

הוא מנסה להבין את המצב. הוא מנסה להבין את המצב. הוא מנסה להבין את המצב.

הוא מנסה להבין את המצב. הוא מנסה להבין את המצב. הוא מנסה להבין את המצב.

הוא מנסה להבין את המצב. הוא מנסה להבין את המצב. הוא מנסה להבין את המצב.

אמרתי לך ואתה לא אומר שיש לך חובות. << אתה זה שבא ללמוד את התורה >> :אמר לי את כל מה שיש לך

ללמוד את התורה. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות.

אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות.

אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות.

אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות. אמרתי לך שיש לך חובות.

מסתבר שיש להבין את המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" כמשפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" אינו משפט אמיתי, אלא משפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" אינו משפט אמיתי, אלא משפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" אינו משפט אמיתי, אלא משפט קונדיציונלי.

משפט קונדיציונלי הוא משפט מהצורה "אם P, אז Q". המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" הוא משפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" הוא משפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" הוא משפט קונדיציונלי.

משפט קונדיציונלי הוא משפט מהצורה "אם P, אז Q". המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" הוא משפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" הוא משפט קונדיציונלי. המשפט "אם אדם חכם, אז הוא מוסרתי" הוא משפט קונדיציונלי.

מבטאים את דעתם על המצב הכלכלי והחברתי של ישראל, וכן על המדיניות הכלכלית והחברתית של הממשלה. המערכת הכלכלית והחברתית של ישראל היא מערכת מורכבת, המבוססת על עקרונות של שוויון, צדק ופיתוח. הממשלה חייבת להבטיח את יציבותה ופיתוחה, תוך מתן מענה לצרכי הציבור. המערכת הכלכלית והחברתית של ישראל היא מערכת מורכבת, המבוססת על עקרונות של שוויון, צדק ופיתוח. הממשלה חייבת להבטיח את יציבותה ופיתוחה, תוך מתן מענה לצרכי הציבור.

عن أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من صلى العصر في يوم الجمعة لم يلجأ يومئذ إلى النار».

عن أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من صلى العصر في يوم الجمعة لم يلجأ يومئذ إلى النار».

سبع الجمعة كلها، هو خمسمائة سنة. ويؤيده قوله: «من صلى العصر في يوم الجمعة لم يلجأ يومئذ إلى النار».

מסמכים אחרים המכילים מידע זה, וכן כל המידע הנכלל בהם. המידע המפורט במסמכים אלה אינו מהווה ייעוץ או המלצה לרכוש או למכור כל ני"מ או כל כלי פיננסי אחר, או להשתמש בכל כלי פיננסי אחר, או כל המידע הנכלל בהם. המידע המפורט במסמכים אלה אינו מהווה ייעוץ או המלצה לרכוש או למכור כל ני"מ או כל כלי פיננסי אחר, או להשתמש בכל כלי פיננסי אחר, או כל המידע הנכלל בהם.

מסמכים אחרים המכילים מידע זה, וכן כל המידע הנכלל בהם. המידע המפורט במסמכים אלה אינו מהווה ייעוץ או המלצה לרכוש או למכור כל ני"מ או כל כלי פיננסי אחר, או להשתמש בכל כלי פיננסי אחר, או כל המידע הנכלל בהם. המידע המפורט במסמכים אלה אינו מהווה ייעוץ או המלצה לרכוש או למכור כל ני"מ או כל כלי פיננסי אחר, או להשתמש בכל כלי פיננסי אחר, או כל המידע הנכלל בהם.

מסמכים אחרים המכילים מידע זה, וכן כל המידע הנכלל בהם. המידע המפורט במסמכים אלה אינו מהווה ייעוץ או המלצה לרכוש או למכור כל ני"מ או כל כלי פיננסי אחר, או להשתמש בכל כלי פיננסי אחר, או כל המידע הנכלל בהם.

אלו הם המסמכים המפורטים להלן:

1. תוכנית עבודה
2. דוחות חודשיים
3. דוחות שנתיים
4. דוחות מיוחדים
5. דוחות ביניים
6. דוחות סופיים
7. דוחות ביניים
8. דוחות סופיים
9. דוחות ביניים
10. דוחות סופיים
11. דוחות ביניים
12. דוחות סופיים
13. דוחות ביניים
14. דוחות סופיים
15. דוחות ביניים
16. דוחות סופיים
17. דוחות ביניים
18. דוחות סופיים
19. דוחות ביניים
20. דוחות סופיים
21. דוחות ביניים
22. דוחות סופיים
23. דוחות ביניים
24. דוחות סופיים
25. דוחות ביניים
26. דוחות סופיים
27. דוחות ביניים
28. דוחות סופיים
29. דוחות ביניים
30. דוחות סופיים
31. דוחות ביניים
32. דוחות סופיים
33. דוחות ביניים
34. דוחות סופיים
35. דוחות ביניים
36. דוחות סופיים
37. דוחות ביניים
38. דוחות סופיים
39. דוחות ביניים
40. דוחות סופיים
41. דוחות ביניים
42. דוחות סופיים
43. דוחות ביניים
44. דוחות סופיים
45. דוחות ביניים
46. דוחות סופיים
47. דוחות ביניים
48. דוחות סופיים
49. דוחות ביניים
50. דוחות סופיים
51. דוחות ביניים
52. דוחות סופיים
53. דוחות ביניים
54. דוחות סופיים
55. דוחות ביניים
56. דוחות סופיים
57. דוחות ביניים
58. דוחות סופיים
59. דוחות ביניים
60. דוחות סופיים
61. דוחות ביניים
62. דוחות סופיים
63. דוחות ביניים
64. דוחות סופיים
65. דוחות ביניים
66. דוחות סופיים
67. דוחות ביניים
68. דוחות סופיים
69. דוחות ביניים
70. דוחות סופיים
71. דוחות ביניים
72. דוחות סופיים
73. דוחות ביניים
74. דוחות סופיים
75. דוחות ביניים
76. דוחות סופיים
77. דוחות ביניים
78. דוחות סופיים
79. דוחות ביניים
80. דוחות סופיים
81. דוחות ביניים
82. דוחות סופיים
83. דוחות ביניים
84. דוחות סופיים
85. דוחות ביניים
86. דוחות סופיים
87. דוחות ביניים
88. דוחות סופיים
89. דוחות ביניים
90. דוחות סופיים
91. דוחות ביניים
92. דוחות סופיים
93. דוחות ביניים
94. דוחות סופיים
95. דוחות ביניים
96. דוחות סופיים
97. דוחות ביניים
98. דוחות סופיים
99. דוחות ביניים
100. דוחות סופיים

"מבחינה כלכלית, המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית פתוחה יותר, ולהקטין את תלותה במערכת הבנקאית, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר. המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר."

"מבחינה כלכלית, המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית פתוחה יותר, ולהקטין את תלותה במערכת הבנקאית, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר. המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר."

"מבחינה כלכלית, המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית פתוחה יותר, ולהקטין את תלותה במערכת הבנקאית, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר. המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר."

"מבחינה כלכלית, המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית פתוחה יותר, ולהקטין את תלותה במערכת הבנקאית, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר. המדינה צריכה להפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר, ולהפוך למערכת פיננסית שמתבססת על שוק הון חופשי יותר."

עניינים אלו יעמדו בראש מעייניו של הוועד העליון לביטחון המדינה. "הוועדה העליונה לביטחון המדינה תעשה כל שביכולתה כדי למנוע את פגיעתם של איומים אלו על הביטחון המדינתי".

הוועדה העליונה לביטחון המדינה תעשה כל שביכולתה כדי למנוע את פגיעתם של איומים אלו על הביטחון המדינתי. הוועדה העליונה לביטחון המדינה תעשה כל שביכולתה כדי למנוע את פגיעתם של איומים אלו על הביטחון המדינתי. הוועדה העליונה לביטחון המדינה תעשה כל שביכולתה כדי למנוע את פגיעתם של איומים אלו על הביטחון המדינתי.

.מדינת ישראל היא מדינה דמוקרטית שבה כל אזרחי ישראל זכאים לזכויות שוות. הממשלה היא ממשלה אחידה, והיא אחראית על ביטחון, שלום ושקט במדינה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה.

הממשלה היא אחראית על ביטחון, שלום ושקט במדינה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. #

הממשלה היא אחראית על ביטחון, שלום ושקט במדינה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. #

הממשלה היא אחראית על ביטחון, שלום ושקט במדינה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה.

הממשלה היא אחראית על ביטחון, שלום ושקט במדינה. כלל האזרחים הם שווים לפני החוק, והחוק הוא המיישם את ערכי הדמוקרטיה. #

... (The text is extremely faint and illegible, appearing as a block of light gray characters.)

...

...

...

...

...

... (The text is extremely faint and illegible, appearing as a block of light gray characters.)

... >> ...

... << ...

מבלי להעלים את המעורבות האסטרטגית של הממשלה, הממשלה צריכה להתחיל להתחבר עם המגזר הפרטי במיניסטריו. עם זאת, חשוב להבין שממשלה זו לא תוכל לפעול באופן טוטאליטרי, כל עוד הממשלה אינה רואה את עצמה כמגבילה את חופש התנועה של האזרחים. זהו חלק מהמסורת הדמוקרטית, והיא צריכה להצטרף אליה.

הממשלה צריכה לפעול באופן טוטאליטרי, כל עוד הממשלה אינה רואה את עצמה כמגבילה את חופש התנועה של האזרחים. זהו חלק מהמסורת הדמוקרטית, והיא צריכה להצטרף אליה. הממשלה צריכה לפעול באופן טוטאליטרי, כל עוד הממשלה אינה רואה את עצמה כמגבילה את חופש התנועה של האזרחים. זהו חלק מהמסורת הדמוקרטית, והיא צריכה להצטרף אליה. הממשלה צריכה לפעול באופן טוטאליטרי, כל עוד הממשלה אינה רואה את עצמה כמגבילה את חופש התנועה של האזרחים. זהו חלק מהמסורת הדמוקרטית, והיא צריכה להצטרף אליה. הממשלה צריכה לפעול באופן טוטאליטרי, כל עוד הממשלה אינה רואה את עצמה כמגבילה את חופש התנועה של האזרחים. זהו חלק מהמסורת הדמוקרטית, והיא צריכה להצטרף אליה.

הוראת מתן שירותים

הוראת מתן שירותים לתלמידי החינוך העיוני

הוראת מתן שירותים לתלמידי החינוך העיוני

הוראת מתן שירותים לתלמידי החינוך העיוני מטרתה להסביר לתלמידי החינוך העיוני את חובותיהם במסגרת שירותי החינוך, ולעזור להם להבין את חשיבותם של שירותי החינוך וההתערבות שלהם. ההוראה מפרטת על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה. ההוראה מפרטת גם על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה.

ההוראה מפרטת על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה. ההוראה מפרטת גם על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה.

ההוראה מפרטת על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה. ההוראה מפרטת גם על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה.

ההוראה מפרטת על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה. ההוראה מפרטת גם על חובותיהם של התלמידים במסגרת שירותי החינוך, וכן על חובותיהם של ההוראה והמשפחה.

מקום המיועד להגדלת המס. במקום זה ייתכנו שתי אפשרויות. האחת היא שיש להגדיל את המס על הכנסות מההון, והשנייה היא שיש להגדיל את המס על הכנסות מהעבודה. במקום הראשון, יש להגדיל את המס על הכנסות מההון, ובמקום השני יש להגדיל את המס על הכנסות מהעבודה. במקום הראשון, יש להגדיל את המס על הכנסות מההון, ובמקום השני יש להגדיל את המס על הכנסות מהעבודה. במקום הראשון, יש להגדיל את המס על הכנסות מההון, ובמקום השני יש להגדיל את המס על הכנסות מהעבודה.

